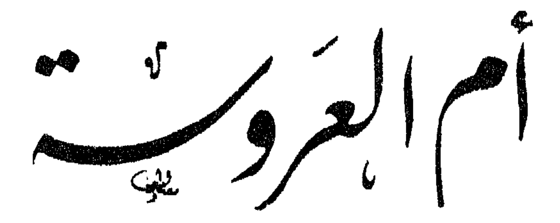


أم العروسة
عبد الحميد جوده السحار
مكتبة مصر

مطبوعات مكتبة مصر



تأليف

عبد الحميد جودة السحار

الناشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

الفصل الأول

تردد رنين الجرس الخارجى فى أرجاء الشقة ، ففتح حسين عينيه فوقعتا على زوجته زينب ، الراقدة إلى جواره تغط فى نومها ، وتتابع الرنين فأزاح الغطاء بعيدا عنه وهو ينهض ، فرأى ابنته هالة تتمطى فى سريرها الصغير ، الملتصق بسريرهما من جانب زينب ، فخشى أن يوقظها ذلك الرنين المتواصل ، فهب مسرعا وانطلق حافى القدمين إلى المطبخ والتقط وعاء اللبن واتجه إلى باب الشقة وهو يهرول .

انفرج الباب عن فتحة تكاد تسمح بمرور الوعاء ، ومد يده به ، وهو يخفى وجهه عن بائع اللبن ، فقد أحس أن شعره منفوش ، وعينيه ما زالتا منتفختين من أثر النوم ، وأن البيجاما التى يرتديها كانت من قطعتين مختلفتين !

وشعر بثقل اللبن فى الوعاء ، فسحب ذراعه ، وأغلق الباب فى حذر ، حتى لا يرتفع صريره ويوقظ النائمين ، وسار على أطراف أصابعه إلى المطبخ ، ثم عاد إلى غرفة نومه ، واندس فى السرير ، وسحب الغطاء وأغمض عينيه ليستأنف النوم اللذيذ .

وتقلبت هالة فى سريرها ، وبكت بصوت بدأ منخفضا ثم أخذ فى الارتفاع ، فمد ذراعه من فوق زوجته ، وراح يتحسس الحلمة المطاط المشبوكة فى صدر هالة ، حتى عثر عليها ووضعها فى فمها ، ولكن هالة

لم تكف عن البكاء ، بل انقلب صياحا ، فنحى الغطاء عنه فى غيظ ، فانكشف ذراع زينب ، وقام ليغادر الغرفة حافى القدمين إلى المطبخ ، وهو ينظر إلى زوجته وابنته التى عكر عويلها صفو السكون ، فألفى زوجته تمد يدها وتسحب الغطاء عليها دون أن تفتح عينيها ، وتروح فى سبات وقد ارتسم على وجهها هدوء عجيب .

ووصل إلى المطبخ ، وبكاء ابنته يصك أذنيه ، فتناول علبة الكبريت ، وأخرج منها عودا فى عجلة ، وحاول أن يشعله ، ولكن العود انكسر ، فأخرج آخر وأشعله فى لهفة ، ثم أوقد « وابور السبرتو » ووضع فوقه وعاء اللبن .

ولم يشأ أن يضيع وقتا ، فأخرج من النملية زجاجة ركبت فوق فوهتها حلمة من المطاط ، وذهب إلى الحوض ، وأخذ يغسلها فى عناية ، ثم وضع فيها قمعا ، وعاد إلى وعاء اللبن الموضوع فوق « وابور السبرتو » .

واستمرت هالة فى بكائها ، فجعل يتململ فى وقفته ، وينظر إلى النار فى توسل يتعجلها .. وأخيرا رفع الوعاء وصب اللبن فى الزجاجة ثم ألقى القمع فى الحوض ، وراح يركب الحلمة المطاط .

وفتح صنبور الماء ، ومد يده بالزجاجة ليبرد اللبن ، واستمر الماء يجرى فوق الزجاجة ، حتى إذا حسب أن حرارة اللبن أصبحت مناسبة ، رفع الزجاجة إلى فمه ، ومص من الحلمة مصة فإذا باللبن يلسعه ، فعاود وضع الزجاجة تحت الماء فى ضيق ، فبكاء هالة كان يدوى فى المطبخ .

وأغلق صنبور الماء ، وعاود مص الحلمة مرة أخرى ، وهو فى انطلاقه

إلى هالة ، ليطمئن إلى مناسبة درجة حرارة اللبن ، ورفع بصره إلى الساعة المتواضعة المعلقة فى الردهة ، فإذا بها تشير إلى السادسة ، وأخرج الحلمة من فمه ، ومسحها بيده ، ثم هرول إلى غرفة النوم .

وألقم هالة الحلمة ، فكفت عن البكاء ، وأخذت الزجاجة بين يديها فوقف ينظر إليها برهة ، وقد تفجرت ينابيع الحنان فى جوفه ، وانبسطت أساريره ، ثم دار حول السرير ليأخذ مكانه إلى جوار زينب ، ولكنه ما إن هم بالرقاد ، حتى عاود القيام ، فقد تذكر شيئا هاما :

خرج من الغرفة ، وسار فى ردهة طويلة ، حتى بلغ غرفة مغلقة ، ففتح بابها فى حرص ونظر . كان فى الغرفة ثلاثة أسرة ، رقدت فيها بناته الثلاث ، أحلام ونبيلة وسوسن .

كانت أحلام فى الثامنة عشرة ، مكتملة النمو ، بيضاء البشرة ، تبعثر شعرها الأسود الفاحم على الوسادة ، وارتسمت على شفتيها بسمة ، ودارت فى فراشها نصف دورة ، فارتفع صدرها الناهد ، وامتدت إحدى ساقيها العاريتين وتقلصت الأخرى ، كانت فى حلم لذيذ من أحلام الشباب .

وكانت نبيلة فى السابعة عشرة ، منفوشة الشعر ، مزججة الحاجبين ، رقيقة الشفتين ، وكانتا تتمتمان ، فهى لا تكف عن الكلام حتى فى نومها ، كانت ترتدى بيجاما ضيقة ، تكشف تفاصيل جسمها الرياضى .

وكانت سوسن فى الثامنة ، دقيقة الملامح ، وردية اللون ، سبطة الشعر ، تبدو فى نومها كملاك ، قد رفع ثوبها أثناء تقلبها ، فبدا بطنها

عاريا .

وتقدم يسترق الخطا ، وتناول أطراف الغطاء المكور تحت أقدام أحلام وسحبه فى رفق فوقها ، ثم اتجه إلى نبيلة والتقط الغطاء من على الأرض ، وغطاها وهو ينظر إلى شفتيها الدائبتى الحركة ، فأشرق وجهه وبدا على فمه مولد ابتسامة .

وذهب إلى سوسن ، ورفعها فى رفق بين يديه ليعيد رأسها على الوسادة ثم أحكم غطاءها ، وراح يمرر يده على شعرها الكستنائى فى حب وحنان .

وانسحب من الغرفة ، وجذب الباب خلفه ، وقبل أن يغلقه ، وقف برهة وقد لمعت عيناه .

واتجه إلى الغرفة المجاورة ، وفتح بابها ونظر ، فإذا بثلاثة أسرة رقد فيها أبناؤه الثلاثة ، سامى ومراد وعاطف .

كان سامى فى الرابعة عشرة ، معتزا بشبابه ، ينام عاريا ، لا يرتدى إلا بنطلونا قصيرا من قماش أبيض ، وكان وجهه أشبه بوجه نبيلة ، كانت ملامحه توحى بطفولة ، ولكنه كان راضيا عن شكله كل الرضا ، وما كان يضايقه إلا تأخر نمو شاربه !

كان مراد فى الثانية عشرة ، تبدو فى رقدته شقاوة ، فآثار الحبر فى أصابعه وفى خده ، وقد أدخل زرار البيجاما الأول فى العروة الثانية ، ونام فى عرض السرير ، رأسه مدلى ورجلاه مرفوعتان على الحائط .

كان عاطف فى الثالثة ، نام وقد وضع يده تحت خده ، وكور جسمه فدنت ركبتاه من ذقنه ، كان يرتدى قميصه وبنطلونه المخمل الأحمر ،

وفردة حذاء وجوربا أبيض فى رجل ، ورجله الثانية عارية !

واتجه حسين إلى عاطف ، وخلع له الحذاء والجورب ، ثم أبعد خصلة الشعر الأصفر المتهدلة على وجهه عن عينيه ، وجذب يده من تحت خده فى رفق ، فإذا به يتقلب فى فراشه ، فخشى أبوه أن يستيقظ ، فوضع الغطاء فوقه ، وانسل من جواره فى حذر وهو يتلفت .

وذهب إلى مراد ، وحمله بين يديه ، ووضع رأسه على الوسادة ، ثم غطاه ، وقبل أن يتحرك رفس مراد الغطاء ، ودار نصف دورة ، فإذا برأسه يتدلى فى الهواء ، وإذا برجليه ترتفعان وتستندان إلى الحائط ، عائدا إلى وضعه الأول . فتناول الأب الغطاء وغطى به ابنه ، وهو فى وضعه ذاك ، دون أن يحاول إعادة رأسه إلى الوسادة .

ويمم صوب سامى ، وسحب عليه الغطاء ، فإذا بسامى يهب من نومه مفزوعا ، وينكمش فى الزاوية البعيدة من السرير ، وقد فتح عينيه المحمرتين من أثر النوم ، وعلا رأسه شعره الذى كان أشبه بعرف الديك ، فبدا كأنما قد وقف من الخوف ، وراح يغمغم :

ــ هو .. هو .. هو . فى إيه ؟ فى إيه ؟

فقال أبوه وهو يجذبه فى رفق :

ــ نام .. ما فيش حاجه ..

نام سامى ، وسرعان ما أغلق عينيه ، فأسدل أبوه عليه الغطاء ، وتحرك عاطف فى سريره وتمطى ، فغادر الأب الغرفة هاربا .

ودخل غرفة نومه ، وفى طريقه إلى السرير مر بمرآة ، فتفرس فى وجهه لحظة ، ومرر يده على شعره ، ثم هبط بها يتحسس التجعدات التى بدت

فى صفحة وجهه ، ولاح فى عينيه الأسى ، فقد مشت إليه الشيخوخة ولما يتجاوز الخامسة والأربعين !

وألقى بجسمه فى السرير ، وأغمض عينيه ، ولكنه أحس حركة فى الغرفة ، ففتح عينا واحدة ونظر فلمح عاطف قد أقبل ، فأغمض عينيه وتظاهر بالنوم .

وراح عاطف يتسلق السرير ، ثم أراد أن يتخطى أباه النائم ، فداس فوقه وغاصت رجله فى بطنه وحسين صامت لا يتكلم ، وإن تحرك قليلا ليفسح له مكانا بينه وبين زوجته ، واندس عاطف بين والديه ، ووضع رأسه على الوسادة ، ثم وضع ساقا على أخرى وهو راقد .

وظل ساكنا لحظة ، وسرعان ما ضاق بذلك الصمت المسيطر على الغرفة ، فالتفت إلى أمه فألفاها مغمضة العينين ، فمد يده يفتح لها عينيها ، فتململت الأم فى نومها وأزاحت يده بعيدا ، فلم يرتدع ، بل استمرأ فعلته ، فاعتدل فى جلسته ليكون أمر فتح عينى أمه بيديه ميسورا .

وضاقت أمه بإلحاحه ، فأولته ظهرها لتبعد عينيها من يديه ، فإذا به ينهض ويمتطيها ، فدفعته بمرفقها فسقط على أبيه الذى تلقاه بين يديه ، وحمله ووضعه على الأرض ، وقال له :

ــ روح صحى نبيلة .

ــ ادينى قرش قبله .

ــ دلوقت لما اصحى .

ــ ما انت صاحى أهو . ادينى قرش بقى .

ونهض حسين واتجه إلى حيث علق ثيابه ليعطيه قرشا ، ويريح رأسه ، كان واثقا من أن عاطف لن يكف عن طلبه حتى يأخذ ما يريد .

ومدت زينب يدها إلى هالة تتحسسها ، وهى مغمضة العينين حتى لا يفر النوم منهما ، وراحت يدها تتجول على جسمها ، حتى إذا بلغت نهاية ظهرها ، تقلص وجهها تقززا ، وفتحت عينيها وأزاحت الغطاء عنها ، ونهضت لتحمل ابنتها وتغادر الغرفة .

وأخذ عاطف القرش ونظر إليه مليا ، ثم أعاده إلى أبيه وهو يقول :

ـــ لأ ما اخدش ده ، عايز قرش مخروق .

وكانت الأم قد دنت منهما وهى تحمل هالة بين يديها .

فقالت لزوجها :

ـــ إيه الدلع ده ؟ ما حد ح يتلف أمله غيرك .

فقال حسين لابنه فى زجر :

ـــ ما فيش غير ده .

فراح عاطف يصيح فى بكاء :

ـــ أنا مالى عايز قرش مخروق .. عايز قرش مخروق .

وكانت زينب قد غادرت الغرفة ، فإذا بها تصيح من الحمام :

ـــ عندك قرش مخروق تحت المخدة .

فابتسم حسين وقال :

ـــ حنينا !

وأخذ عاطف القرش وذهب إلى حيث يرقد إخوته ، واقترب من مراد وقال له وهو يمد يده بالقرش :

ــ خد .. ادينى حاجه ..

فتح مراد عينيه فرأى القرش ، فرفع رأسه المتدلى وأنزل رجليه من على الحائط ، ونهض مسرعا ، وقبل أن يغادر فراشه كان قد التقط القرش بين أصابعه . وغادر الغرفة وعاطف فى أثره ، واتجه إلى صوان صغير فى الردهة ، وفتحه وأخرج منه صندوقا من الورق .

بدأت الحركة تدب فى الشقة ، فقد استيقظت نبيلة ووقفت على باب غرفتها ، واستيقظ سامى وظهر عند باب غرفته وقد وضع فوطة فوق كتفيه ، ولمحته نبيلة فانطلقت مسرعة على أطراف أصابعها كراقصة الباليه لتبلغ دورة المياه قبله ، فقال لها سامى فى غيظ :

ــ آدى اللى انت فالحه فيه .

فقالت له .

ــ أحسن منك ، مش فالح فى حاجه أبدا .

وارتفع صوت الأم من الحمام :

ــ اصطبحنا !

فقال سامى فى عناد :

ــ تعالى شوفى صابحه ترقص ازاى !

وارتفع صوت نبيلة من بعيد :

ــ باقول لك ما لكش دعوه بيه .

وإذا بصوت الأم يدوى :

ــ وبعدين معاكو .

وصمت سامى ونبيلة ، وصاح عاطف وهو يعيد قطعة السمسمية

إلى مراد :

ـــ مش عايز دى .. أنا أنقى ..

وقدم مراد الصندوق إلى عاطف ، وهو يقول :

ـــ خد اللى انت عايزه .

ومد عاطف يده ينتقى ما يريد ، وقال سامى وهو يضم الفوطة إلى صدره :

ـــ مش ح تبطل التجارة دى يا مراد ؟

فقال له مراد بصوته الخارج من كل حنجرته ، وقد نفرت عروق رقبته :

ـــ وانت مالك .

وخرجت سوسن من غرفة أبيها وفى يدها قرش ، واتجهت إلى مراد تشترى منه قطعة حلوى ، فقال سامى :

ـــ الهف فلوس العيال .

فصاح مراد :

ـــ يا ماما حوشى سامى .

فصاح سامى :

ـــ يا ماما ح يعيى الأولاد بيجيب حلاوة زى الزفت .

ـــ مش أحسن م الحلاوه اللى بتجبها ؟

فقال سامى وهو يحاول أن يأخذ الحلاوة من يد سوسن :

ـــ دى وساخه ..

فقالت له سوسن وهو تبعد يدها عنه :

ـــ وانت مالك ؟

والتفت سامى إلى مراد وقال :

ـــ فيه خمسه صاغ تكسب خمسه وعشرين قرش ؟. دا نصب .

وارتفع صوت الأم :

ـــ ما بس بقى يا سامى .. لازم تسمعوا حسنا للجيران ع الصبح ؟

واستمر سامى فى هجومه :

ـــ ح يعمل إيه بالفلوس دى كلها ؟ أهو بكره يركب بيها عجل ويقطع هدومه .

وهتفت الأم فى ضيق :

ـــ ما تقوم لولادك دول .. دى حاجه تقصر العمر .

وخرج الأب من غرفته ، وقال فى هدوء :

ـــ ما بس بقى . يالّا البس انت وهو مافيش وقت .

وسار سامى إلى دورة المياه ، وسرعان ما ترددت أصوات طرقاته على الباب ، وذهب عاطف إلى الصوان يعبث فى محتوياته ، وخلع مراد جاكتة البجاما وألقاها على الأريكة الموضوعة فى الردهة ، وراح يخلع بنطلونها وهو فى سيره ، ثم ألقاه على كرسى وغاب فى غرفته قليلا ، ثم عاد يصيح :

ـــ مش لاقى فردة الجزمة .

وراح مراد يزحف على الأرض وينظر تحت المقاعد منقبا عن حذائه ، ودخلت سوسن غرفة أمها وقالت :

ـــ مش لاقيه المشط .

وصاح مراد :

ــ المشط أهه تحت الكنبة ، أمال الجزمة فين ؟

فقالت سوسن :

ــ شفتها ع الترابيزه فى الأوضه المفروشه .

وأقبلت نبيلة على أطراف أصابعها ، ومرت فى حركة راقصة بعاطف دون أن تلتفت إليه ، ثم انسلت إلى غرفتها كالطيف وقد بدأت فى خلع جاكتة البيجاما .

وخرجت سوسن إلى حيث كان مراد ، وأخذت المشط الذى أخرجته من تحت الأريكة ووضعته فوقها ، وراحت تمشط شعرها وهى فى طريقها إلى المرآة ، ومرت بعاطف ، ورأت ما يفعله ، فانطلقت إلى أمها مسرعة ، وهى تصيح :

ــ ماما .. ماما .. الحقى عاطف .

ــ ماله ؟!

ــ بدر علبه الخيط .

فأسرعت الأم اليه فإذا بخيوط حمراء وصفراء وسوداء قد التفت على يده ، وامتدت منها إلى البكر المبعثر على الأرض ، فضربته على ظهره ، وهى تقول :

ــ هو انتو قرود !

وراحت تلتقط البكر وتلف كل خيط على بكرته .

وقامت أحلام من نومها تتمطى ، ولمحتها نبيلة فى المرآة وهى ترتدى ثياب المدرسة وتصفف شعرها ، فوجدت الفرصة سانحة لتتحدث ،

فاندفعت تحدثها عن المدرسة والمدرسات والمدرسين ، وكانت تتكلم بحاجبيها وعينيها ويديها ، وتطول وتقصر وتمثل ، وتلفتت أحلام فى الغرفة فألفت ثياب نبيلة المنزلية مبعثرة هنا وهناك، فقالت وهى تنهض:

— ما تعلقى هدومك .

فتلفتت نبيلة فى الغرفة ، ثم قالت وهى تسرع بالهرب :

— اتأخرت قوى ..

فقالت أحلام وهى تلتقط بنطلون بيجامة نبيلة من الأرض .

— طول عمرك زواغه .

وذهبت نبيلة إلى حيث كان أبوها ، وقالت له :

— عايزه خمسه وعشرين قرش .

— ليه كمان ؟

— ح نروح رحله لسقاره .

وبلغ ذلك الحديث مسامع سامى ، فخرج من غرفته مسرعا ، وهو يرتدى القميص ويدس رجله فى البنطلون ، وصاح :

— ما تديهاش يا بابا .

فالتفتت إليه نبيلة فى غضب ، وقالت له مزمجرة :

— وانت إيش حشرك ؟

ولم يأبه لاعتراضها ، بل استمر فى وسوسته :

— عايزه تجرى على حل شعرها مع البنات المايعه .

وقالت نبيلة فى صوت خنقته العبرات :

— عاجبك يا بابا قلة الأدب دى ؟

واستمر سامى فى هجومه :

ــ لو سمعت كل واحده فيهم وهى بتطق الضحكه ..

وصاحت الأم فى حدة :

ــ وبعدين معاكو ؟! دا ما بقاش بيت .. دى سراية مجانين .

ولم يزدجر سامى ، بل ازداد عنادا ، ورأى أبوه أن يهاجمه حتى يسكت ، فمد يده إلى الكرافتة التى فى عنقه وقال وهو يعبث فيها :

ــ هو نت مش ح تخلى لى حاجه ألبسها أبدا ؟! الشرابات وقطعتهم ، والمناديل وضيعتهم ، ح تندار ع الكرافتات ؟

فقال سامى فى هدوء :

ــ ما عنديش كرفتات .. هات خمسين قرش اشترى كرفاته .

فصاح أبوه فى وجهه ليبعده ، حتى لا يلح فى طلب النقود :

ــ طب غور من وشى .

وانسحب سامى فى هدوء ، وهو يسوى الكرافاتة ، ودنت سوسن من أبيها ترقبه ، فلما رأته يمد يده فى جيبه ويعطى نبيلة خمسة وعشرين قرشا تشجعت وقالت :

ــ وأنا عايزه عشره صاغ .

ــ علشان إيه ؟

ــ أشترى مسطره وكراسه وعلبة ألوان .

فصاحت الأم وهى تضع الحلمة المطاط فى فم هالة :

ــ هو كل يوم علبة ألوان ! فين العلبة اللى جبتيها أول امبارح ؟

ــ كسرها عاطف .

فقال الأب فى هدوء :

ــ العصر أجيب لك الكراسة والمسطرة وعلبة الألوان .

فقالت فى بكاء تمثيلى :

ــ وانا مالى .. عندنا رسم أول حصه . الأبله تضربنى .

وناولها الأب عشرة قروش ، ورأى مراد سهولة دفع النقود فأقبل وهو يصيح من حنجرته :

ــ وانا عايز فلوس المجموعة ، الأستاذ طلبها امبارح قلت له بكره .

فقال الأب :

ــ والنهارده قل له بكره .

فقال مراد وهو يلوح بيده فى ضيق :

ــ إيه ده ؟

ونظرت أمه إلى حذائه الأصفر الذى ذهب لونه ، وقالت له :

ــ دى جزمه تخرج بيها ؟

ــ ما قلت لكم عايز جزمه ما رضيتوش .

فقالت له الأم فى ضيق :

ــ حرام عليك دى ما بقلهاش شهر ، روح امسحها .

ــ ما فيش ورنيش .

ــ والعلبه اللى اشتريتوها امبارح ؟

ــ خلصت .

ولم ينتظر فى الغرفة ، بل انسحب يائسا ، ونظرت الأم خلال الباب ، فلمحت أحلام تلتقط ملابس إخوتها المبعثرة فى الردهة ، وتعيد

تنسيق الأثاث فنادت :

ــ أحلام ، املى القلل واعملى الشاى .

وأقبلت نبيلة من غرفتها ، وقد وضعت حافظة كتبها على عجزها ، وأسندتها بذراعها ، ودنت من أحلام وقالت لها :

ــ اشتغلى ما دام قعدتى فى البيت .

فالتفتت إليها أحلام وقالت :

ــ بكره تقعدى فى البيت انت رخره .

فقالت نبيلة فى تمثيل ، وهى تسير فى خطوات راقصة :

ــ لا .. دا مستحيل .. أنا ح ادخل الجامعه .

وخرج سامى من غرفته وقد أتم ارتداء ملابسه ، فقال وقد اتخذ هيئة رجل :

ــ دا بعدك .

فصاحت نبيلة :

ــ يا ماما . خلى الشيخ أبو العيون ده يسكت .

فقالت الأم :

ــ هو لولا العربيه اللى بتيجى تاخدك من باب البيت وتجيبك لباب البيت كنت وديتك المدرسه ؟

وقال الأب لينهى هذه المناقشة قبل أن تحتدم :

ــ أمال عاطف فين ؟

فقالت سوسن :

ــ نزل الشارع .

فقالت لها الأم :

ــ انزلى هاتيه .

ــ أنا اتأخرت ، راحة المدرسه .

ــ ماتنزليش قبل ماتفطرى .. عندك جبنه رومى فى النمليه ، اعملى يانبيله لأختك سندويتش .

وتحركت نبيلة إلى المطبخ تتبعها سوسن ، وسرعان ما لحق بهما سامى ومراد،وامتدت الأيدى إلى وعاء الخبز،ثم امتدت فى تسابق إلى الصحفة التى وضع فيها الجبن، فكأنما جراد نزل بحقل و لم يغادره إلا بعد أن أصبح يابا قفرا!

وارتفع صوت بوق سيارة ، فصاحت نبيلة وهى تجرى :

ــ عربيتى .

وراح سامى ومراد وسوسن ينسلون من المطبخ فى طريقهم إلى الباب الخارجى ، وصاحت سوسن قبل أن تخرج :

ــ ماما .. الحقى ، خلصوا الجبنه .

فأسرعت الأم إلى المطبخ وهى تقول :

ــ يبقى جنان .. وانا لسه مشترياها امبارح .

ونظرت فوقع بصرها على آثار المعركة ، فتات من الخبز تناثرت على المنضدة القريبة من النملية ، وصحفة خالية وورقة كانت الدليل الوحيد عن أنه كان ملفوفا بها شىء دسم ، وضربت كفا بكف وعادت إلى حيث كان زوجها وقالت :

ــ خلصوا الجبنه .

فقال فى هدوء :

ـــ خليهم ياكلوا .

فقالت فى استنكار .

ـــ ياكلوا ! مش ناقص إلا ياكلونا .

وكان الزوج قد أتم ارتداء ملابسه ، فنظر فى ساعته وتحرك خارجا من الغرفة ، فصاحت الأم :

ـــ أحلام ! هاتى الشاى لبابا واقلى له بيضتين يفطر .

فقال الأب وهو سائر وزوجته خلفه :

ـــ وانتو مش ح تفطروا ؟

ـــ لسه بدرى . لما نخلص مرار الشقه .

وجلس على الأريكة الموضوعة فى الردهة ، وأسرعت الزوجة ووضعت أمامه منضدة صغيرة .

وجاءت أحلام تحمل كوبا من الشاى ، وجلست الزوجة بالقرب من زوجها ، وقالت :

ـــ ح تتغدوا إيه النهارده ؟

ـــ أى حاجه .

وبدأ يرتشف الشاى ، فقالت :

ـــ ما تدوخوناش .. شوفوا تاكلوا إيه ؟

وارتفع صوت أحلام من المطبخ :

ـــ فاصوليا بيضه .

فقالت الأم فى استنكار :

ـــ ما احنا لسه طبخينها أول امبارح .

فقال الأب :

ــ اعملوا صينية بطاطس .

فقالت الزوجة معترضة :

ــ هو ما فيش إلا الفاصوليا والبطاطس ؟

فقال الزوج :

ــ اطبخى اللى على نفسك .

ــ لا ماتحيرونيش .. قولوا تاكلوا إيه ؟

وأقبلت أحلام تحمل صينية صغيرة ، عليها رغيف وصحفة من الألمونيوم قلى فيها بيضتان ، وغطاء علبة بلاستك وضع فيه الملح ، وطبق فنجان شاى فيه قطعة صغيرة من الجبن الأبيض ، ووضعت الصينية أمام أبيها .

ومد الأب يده إلى الرغيف ، وإذا بصوت ارتطام حذاء صغير بالباب الخارجى يتتابع ، فقالت الأم لأحلام :

ــ افتحى .. عاطف طلع .

وأسرعت أحلام إلى الباب وفتحته ، فدخل عاطف ، وجرى إلى حيث كان أبوه ، ونظر فى الصينية وقال :

ــ بتاكل إيه ؟

ــ بيض .. تعالى كل .

فقال عاطف وهو يهز أكتافه :

ــ لأ .. أنا عايز بيضه صحيحه لوحدى .

فقالت الأم لابنتها :

ـــ عندك بيض ؟

ـــ أبدا .

فالتفتت إلى عاطف وقالت له :

ـــ اطلع شوف بيضه عند الفراخ .

وتحرك عاطف ، وقالت له أحلام :

ـــ وإذا ما لقيتش بيضه ، استنى فوق لما الفرخه تبيض .

فقالت الأم فى حنان :

ـــ ليه كده يا بنتى .. دى الشمس تقوره .

ـــ لسه الشمس ما جتش فى السطح ، خلينا نستريح شويه .

وبكت هالة ، فأسرعت الأم إلى حيث ترقد وهى تقول :

ـــ والله ما ح نستريح أبدا .

ودخل عاطف المطبخ ، وأخذ كرسى مطبخ صغير ، وحمله على كتفه ، ثم سار منطلقا نحو السطح .

كانت عشة الدجاج مصنوعة من سلك وخشب قابعة فى ركن من السطح ، فذهب مهرولا إليها ، ونظر من خلال السلك ، وأدار عينيه فى العشة ، فلم يجد بيضا ، فوضع كرسى المطبخ بالقرب من العشة ، وجلس وقد أسند خده بكفه ، ينتظر أن تجود عليه دجاجة ببيضة !

وانتهى الأب من تناول الإفطار ، وتأهب للخروج ، وإذا بزوجته تقترب منه ، وقد حملت هالة على ذراعها ، وتقول

له :

ـــ ما قلتش ح تتغدوا إيه النهارده .

وأسرع هاربا وهو يقول :

ـــ أى حاجه .

وأغلق الباب الخارجى خلفه ، فقالت الزوجة فى ضيق :

ـــ والله بطننا دى محيرانا .

الفصل الثانى

أخذت الشمس فى الارتفاع ، وأرسلت أشعتها الحامية ، وعاطف جالس على كرسى المطبخ بالقرب من عشة الدجاج ، يتململ فى جلسته ، ويجفف عرقه بيده ، دون أن يتطرق اليأس إلى قلبه .

وارتفع صياح دجاجة ، فإذا بعاطف يقوم مسرورا ، ويذهب إلى العشة ينظر من خلال السلك ، فيرى الدجاجة تبيض ، وراح يغدو ويروح أمام العشة فى قلق الوالد الذى ينتظر وليده الأول !

وراح صوت الدجاجة يخفت ، فتيقن من أن البيضة تم وضعها ، اكتسب خبرة من ممارسته الانتظار الطويل بالقرب من العشة ..

وفتح باب العشة ، ودخل فإذا بالدجاج يفر منه مذعورا ، وإذا بصيحات الفزع ترتفع متتابعة ، فلم يلتفت إلى ما يجرى حوله ، بل سار إلى هدفه والتقط البيضة وخرج .

وهبط فى الدرج مسرعا ، حتى إذا وصل إلى باب الشقة ، أخذ يركله بقدمه ، فأسرعت أمه تفتح له الباب وفى يدها مغرفة بها أثر اللبن .

ونظرت إليه فألفت الدم يكاد يفر من وجهه . فمالت تضمه إلى صدرها بيدها الخالية وتقول فى حنان:

ـــ يا حبيبى ! كنت فى السطح فى النغره دى ؟

فقال فى فرح وهو يرفع يده بالبيضة :

ــ جيت بيضه .

ــ طب روح لأحلام تسلقهالك .

وأسرع إلى المطبخ ، وعادت إلى حيث كانت ، راحت تغرف من حلة نحاس لبنا تضعه فى أوعية بلورية ، وعاد عاطف إليها ورفع رأسه وسأل :

ــ بتعملى إيه يا ماما ؟

ــ مهلبية .

ولم ينتظر طويلا ، بل سحب كرسيا ، ووضعه بالقرب من « البوفيه » الذى صفت فوقه أوعية البلور ، وراح يتسلقه ، فقالت له أمه فى زجر :

ــ ابعد .. الحله تقع عليك .

ــ أشوف .

ووقف فوق الكرسى ينظر ، ولم يطق صبرا ، فمد يده يحاول أن يأخذ المغرفة من أمه ، فقالت :

ــ عايز إيه بس ؟

ــ هاتى اغرف انا .

فصاحت الأم :

ــ أحلام . تعالى خدى أخوكى ادى له البيضه بتاعته .

وأقبلت أحلام ، ترتدى ثوبا بسيطا ، فوقه « فوطة » من البلاستيك ، ويقطر الماء من يديها ، وأرادت أن تجفف يديها فى « الفوطة » ، ولكنها أخفقت فما كان البلاستيك ليمتص الماء ، فجففتهما

فى طرف ثوبها ، ثم لفت ذراعها حول وسطه ، وحملته بين ذراعيها وعجزها ، وسارت به وهو يهز رجليه سرورا .

انطلقت به إلى المطبخ ، ووضعته على كرسى أمام المنضدة ، وأحضرت له البيضة ، وهمت بتقشيرها ، وإذا به يمد يده ويأخذها منها ويقول :

ـــ أنا اللى أقشرها .

وراح يقشرها ويرمى بالقشر على الأرض ، وأحلام غافلة عنه ، فقد تحركت تحضر له كسرة خبز ، وعادت بالكسرة ، ورأت القشر على الأرض ، فقالت فى زجر :

ـــ وبعدين معاك .. هو احنا مش ح ننضف أبدا !

ووضعت كسرة الخبز أمامه ، وانحنت تلتقط القشرة من الأرض .

ولاحظت تساقط فتات صفار البيضة ، فرفعت رأسها تنظر إليه ، فألفت عاطفا قد وضع البيضة كلها فى فمه ، وأخفق حلقومه فى ابتلاعها !

وأسرعت تملأ كوب ماء ، ثم عادت إليه مهرولة وهى تقول :

ـــ اشرب .. ح تموت نفسك .

وشرب ، واختلط الماء بصفار البيضة فى الكوب ، فقالت أحلام فى تقزز :

ـــ أنا عارفه إيه القرف ده ؟!

فقالت أمها وهى عائدة إلى المطبخ تحمل الحلة الفارغة والمغرفة:

ـــ آهو كلكم اتربيتوا بالمرار ده ..

وغادر عاطف المطبخ ، وذهب إلى الكرسى الذى وضعه بالقرب من « البوفيه » وتسلقه ، وراح ينظر فوجد أن أمه قد وضعت زبيبا وفستقا على سطح المهلبية ، فأخذ يلتقط الزبيب والفستق ويلقى بهما فى فمه ، ولم يكتف بذلك بل راح يعبث بأصبعه فى المهلبية .

وجاءت أمه ، ورأت فعلته فحملته بين ذراعيها فى غضب ، ووضعته على الأرض فى شدة ، وهى تصيح فيه :

ــ غور من وشى قبل ما اقطم رقبتك .

وراحت تصلح ما أفسد ، وسرعان ما تجاوب رنين الجرس ، فهرعت إلى الباب وفتحته ، فإذا بسوسن قد عادت من مدرستها ، فقالت لها أمها زاجرة :

ــ مش ح تبطلى تحطى صباعك ع الجرس على طول ، والله لو صحيت هالة ما حد ح يشيلها غيرك .

فحركت كتفيها فى عدم اكتراث ، واتجهت إلى غرفتها لتبدل ثيابها . وفيما هى فى سيرها لمحت عاطفا يعبث فى « التواليت » فعادت إلى أمها مهرولة وهى تصيح :

ــ ماما .. ماما .. الحقى عاطف دلق البودرة ، وحط الفيزلين فى راسه .

ــ أبعديه .

ــ مش عايز .

وأسرعت الأم إلى عاطف ، تبعده عن التواليت ، وتجمع البودرة المندلقة ، فإذا بهالة تستيقظ ، وتبدأ فى البكاء ، فقالت الأم :

ـــ سوسن .. سكتى أختك .

فذهبت سوسن إلى هالة وحملتها ، ورفعت الأم عاطف بين يديها ، وذهبت به إلى الحمام ، ولمحت سوسن فيلا من الجلد على ظهر الصوان ، فخطر لها أن تحضره لتلاعب أختها به ، فوضعت هالة على حافة السرير ، وجاءت بكرسى ووضعته بجوار الصوان ، ووقفت فوقه ولكنها لم تصل إلى الفيل ، فجاءت بصفيحة بها « قراقيش » وبسكوت ووضعتها فوق الكرسى وتسلقت حافة الكرسى فى حذر ، وهمت بالوقوف فوق الصفيحة ، فإذا بها تسقط على الأرض ، وقد أحدثت دويا ، وتناثر البسكوت والقراقيش ، ففزعت سوسن ، وهرولت فرارا من أمها إلى السطح . وتركت الأم عاطفا ، وأسرعت ترى ماذا جرى ، وهى تصيح :

ـــ يا شياطين .. يا ملاعين .. يا قرود .

وصاح عاطف من الحمام فى بكاء :

ـــ الصابون بيحرقنى فى عينيه .

فنادت الأم وهى فى عودتها إليه :

ـــ أحلام .. تعالى لمى القراقيش والبسكويت .

وقالت أحلام فى صوت عال :

ـــ ولما الحله إللى ع النار تشيط !

وذهبت إلى الحمام ، وراحت تغسل لعاطف وجهه ويديه وإذا بهالة تضج بالبكاء فارتفع صوت الأم :

ـــ بس .. بس .. أنا جايه أهو .. أنا عارفة يا رب ليه دوختنى ..

وذهبت إلى هالة وحملتها ، ثم راحت تجمع ما انتثر من البسكويت والقراقيش ، وجاء عاطف خلفها ، فقالت له :

ـــ لم معايا .

فانحنى عاطف ، والتقط بسكويتة ووضعها فى فمه ، فقالت له فى حنان :

ـــ باقول لك حط البسكويت فى الصفيحة مش فى بطنك .

وتهللت أسارير عاطف ، وعكف على التقاط ما انتثر ووضعه فى الصفيحة .

وأطمأنت سوسن إلى أن ثورة أمها قد خمدت ، فعادت إلى المطبخ ، وراحت تعبث بالقرب من النار ، فقالت لها أحلام :

ـــ ابعدى قبل النار ما تمسك فى شعرك .

فتأخرت خطوات ، وما لبثت أن تقدمت إلى النار ، وفى يدها عود من قش المقشة تدنيه منها ، فصاحت أحلام بها :

ـــ اخرجى من هنا .

وخرجت سوسن مطأطئة الرأس ، وجلست على الأريكة ، ولم تطق الصمت طويلا ، فتلفتت فوقع بصرها على المقص ، فتناولته وأحضرت صحيفة ، وراحت تقصها « عرائس » وما انقضى طويل وقت حتى كان المكان قد غطى كله بقصاصات الورق .

وخرجت الأم من غرفتها تحمل هالة ، ويسير خلفها عاطف وقد أمسك بملابسها ، فرأت قصاصات الورق تغطى الأرض ، فصاحت :

ـــ يا مقصوفة الرقبه ، والله لانا عدماكى .

فتركت سوسن المقص، وأطلقت ساقيها للريح، وراحت تعدو نحو السطح ، وأخذت الأم تجمع القصاصات ، ولمح عاطف المقص فتناوله ، وحاول قص غطاء الأريكة ، ولمحته أمه ، فأسرعت تنتزع منه المقص وهى تصيح :

ــ هو انتو عفاريت ، اخلصى يا أحلام ، وخدى هاله شويه .

ــ ح انزل الحله وجايه .

وجاءت أحلام وحملت هالة ، وذهبت الأم تلقى قصاصات الورق ثم عادت وقالت لأحلام :

ــ خدى اخواتك فى أودتكم لما أريح شويه .

وأخذت أحلام هالة وعاطف ، وذهبت إلى حجرتها بينما تمددت الأم على الأريكة ، ولفت ذراعها فوق وجهها ، وما كادت تنعم بالاسترخاء حتى أقبلت سوسن صائحة :

ــ ماما .. ماما .. الحقى مراد بيتخانق مع تلات اولاد .. ح يموت فى إيديهم .

وهبت الأم من رقدتها ، وخفت إلى الشرفة فإذا بها ترى ابنها بين ثلاثة أولاد ، قد ضربوا حوله نطاقا ، إذا دفع أحدهم ليشق طريقه بينهم ، دفعوه الثلاثة مرة واحدة ، فيختل توازنه ويترنح ، فلم تطق صبرا بل صاحت فى الأولاد :

ــ ما تسيبه يا واد انت وهو .

فقال أحدهم وهو يرفع رأسه إليها :

ــ خليه يدينا البرايه بتاعتنا .

ــ ما تديهم البرايه يا مراد .

فقال مراد متشجعا لما سمع صوت أمه :

ــ مش ح اديها لهم إلا لما يدونى المسيطره والقلم الرصاص .

ولمحت سامى مقبلا ، فهتفت :

ــ سامى . هات اخوك واطلع .

ودنا سامى منهم ، فقال له مراد :

ــ واخدين منى المسطره والقلم .

فقال الثلاثة معا :

ــ وهو واخد مننا البرايه .

فقال سامى :

ــ هات البرايه .. هاتوا القلم والمسطره .

وناولهم المبراة ، وأخذ منهم المسطرة والقلم ، ودفع أخاه أمامه وهو يقول له :

ــ ياللا يا خايب .

فصاح فيه مراد :

ــ إيه .. ما لكش دعوه بيه .

وقالت الأم لهما من الشرفة :

ــ اطلع انت وهو ، واللا عايزين تفرجوا الناس علينا !

وعادت إلى الأريكة ، وتمددت فيها ، وداعب الوسن عينيها ، واستشعرت طعم الراحة ، وإذا بأصوات مراد وسامى وسوسن تمتزج وتصك أذنيها صكا فتصيح دون أن تفتح عينيها :

ــ ما بس بقى .. هو ما فيش فى البيت ده راحه ؟

واستأنفت نومها ، ولكن سرعان ما أقبلت سوسن ، تقول :

ــ ماما .. ماما .. آكل .

ودفعتها بيدها لتبعدها عنها ، وإذا بعاطف يقبل هاتفا :

ــ ماما .. جعنا .

فنادت الأم :

ــ أحلام ، تعالى أكلى اخواتك .

وأقبلت أحلام ، ودفعت بهالة إلى مراد ، وانسلت الأم إلى غرفة نومها ، وارتمت فى سريرها .

ووضعت أحلام لعاطف قليلا من الأرز فى صحفة صغيرة ، ورشت فوقه ملوخية ، وأرادت أن تطعمه ، ولكنه أصر على أن يأكل وحده ، فتناول الملعقة وجعل يعبث فى الأرز ، وطلبت سوسن أن يغرف لها الأرز وحده ، والملوخية وحدها ، ثم قالت :

ــ وحطى لى حتة لحمه سمينه .

فقالت أحلام فى زجر :

ــ وطى صوتك بلاش قلة أدب .

ونظرت سوسن إليها فى دهش ، فما كانت تدرى ما الخطأ الذى ارتكبته . وتناثر الأرز على صدر عاطف ، وعلى المنضدة ، وعلى الأرض ، ولما امتلأ راح يقرع الصحفة بالملعقة .

ونادت أحلام :

ــ مراد .. سامى .. أغرف لكم ؟

فقالا معا :

ــ لأ .. لما ييجى بابا .

والتفت سامى إلى مراد وقال له :

ــ ح تاكل معانا بإيديك الزفت دى ؟. روح اغسلهم .

ــ طب خد هاله .

ــ وانا مالى .

فوضع مراد هالة على الأريكة ، وذهب يغسل يديه ويحاول أن يزيل الحبر منهما دون جدوى ! وارتفع بكاء هالة ، فتململت الأم فى رقدتها ، وخرجت أحلام من المطبخ تحمل عاطفا وقد تلوث وجهه وثيابه بالملوخية ، وقالت لسامى ، الذى خلع ثيابه ووقف بفانلة سبور وبنطلون البيجاما :

ــ سكت هاله .

ــ وانا مالى .

ــ طب خد عاطف شطفه .

ــ أمال انتم بتعملوا إيه فى البيت ؟

ــ طب اسكت بلاش غلبه .

وارتفع صوت مراد وهو يغسل يديه مشتركا فى الحديث :

ــ كفايه عليه يعمل ريس فى البيت .

وصاحت الأم من غرفتها :

ــ والله يا سامى إن ما شلت أختك لقايمه ومخليه نهارك زى وشك .

وخرجت سوسن من المطبخ ، وحملت هالة ، فصاحت أحلام فيها :

ـ بتشيليها بإيديكى الوسخه !

فوضعتها سوسن على الأريكة ثانية وهى تقول :

ـ أنا مالى . الحق على .

كان مراد قد يئس من تنظيف يديه ، فمسحهما تحت إبطيه وأسرع يحمل هالة .

وسارت أحلام إلى الحوض ، وهى تبعد وجهها عن يدى عاطف ، فقد كان يحاول أن يعبث بشعرها بيديه الملوثتين بالملوخية .

ورن جرس الباب الخارجى ، فذهب سامى إليه فى تؤدة وفتحه فاندفعت نبيلة داخلة ، وهى تطوح حافظة كتبها فى يدها ، وراحت تتحدث :

ـ يا سلام لو شفتم اللى عملناه النهارده فى أبو الأسود الدؤلى ، دخل الفصل وقال لنا : « العواف » قلنا له : « الله يعافيك يا افندى » قال : « درس النهارده فى المفعول لأجله » قلنا له : « ما تحكى لنا الروايه اللى شفتها فى السينما امبارح أحسن يا افندى » قال : « إيش عرفكم انى كنت فى السينما ؟ » قلنا له : « أمانى شافتك يا افندى ، وبالأماره كنت قاعد قدام خالص يا افندى » قام قال : « أنا باقعد قدام علشان نظرى ضعيف » قلنا له : « بقى مش علشان آخر الشهر يا افندى » ؟

وكانت نبيلة قد وصلت إلى باب غرفتها ، فقال لها سامى :

ـ ما كفايه بقى ، اقفلى الراديو ده .

فالتفتت إليه نبيلة وقالت فى حركة تمثيلية :

ـ وانت مالك يا بايخ ! هو انا باحكى لك ؟

— أمال بتحكى لمين ؟

— باحكى لأحلام .

ورن جرس الباب الخارجى ، فصاحت سوسن وهى تهرول نحو الباب :

— بابا جه .

وتخلص عاطف من يدى أحلام وراح يجرى خلف سوسن ، وهو يصيح :

— أنا اللى افتح له .

واستبقا إلى الباب ، وفتحته سوسن قبله ، فراح عاطف يسبها :

— يا قليلة الأدب .. يا سافله .

وقبل أن يستمر فى سبابه ، لمح أباه يحمل كيسا ، فأسرع إليه وقال له :

— إيه إلى معاك ده ؟

— حاجه حلوه .

— طب ورينى .

— لما ادخل .

— طب هات اشيلها .

فقالت سوسن :

— لأ أنا اللى اشيلها .

وأسرع سامى ومراد وهو يحمل هالة ليريا ما الذى أحضره أبوهما .

ودخل الأب إلى غرفته ، وأبناؤه خلفه حتى أحلام ونبيلة لحقتا به ،

واعتدلت الأم فى السرير ، وقالت :

ـــ إيه ده ؟

فقال الأب فى نشوة :

ـــ تفاح .

فقالت الأم وهى تغادر الفراش ، وتمد يدها إلى الكيس لتستولى عليه :

ـــ ما لوش لازمه النهارده . عندنا مهلبيه .

فصاح عاطف وسوسن ومراد وسامى :

ـــ احنا مالنا عايزين تفاح .. تفاح .

وقالت الأم فى استسلام :

ـــ أحلام هاتى السكينه .

وذهبت أحلام وعادت بالسكينة ، وأخذت الأم تشق كل تفاحة نصفين ، وتدفع إلى كل من أبنائها نصف تفاحة ، فغضب عاطف وقال :

ـــ ما اخدش نص ، أنا عايز تفاحة بحالها .

فصاحت الأم فى غضب :

ـــ ما فيش الا كده .

وغضب عاطف وخرج من الغرفة يبكى وأبوه يتبعه بعينيه فى أسى ، كان يريد أن يدخل البهجة على قلوب أبنائه ، فإذا به لا يجلب معه إلا النكد .

وأخذ كل منهم نصف تفاحته وهو صامت ، وإن كانت وجوههم

تنطق بعدم الرضا ، وقالت الأم :

ــ خلوه لبعد ما تاكلوا حلوا بيه .

ولكن مراد وضع نصف التفاحة فى فمه ، وراح يلوكها ، وقالت الأم :

ــ أحلام .. نبيلة وضبوا السفرة .

وخرجت أحلام ونبيلة يتبعهما سامى ومراد ، وجاء عاطف يتمسح ثم قال وهو يمد يده :

ــ طب هاتى .

ودفعت إليه نصف تفاحته ، وهى تربت على كتفه ، فقال لها :

ــ مش أنا حلو بقى ؟

فقالت فى حنان :

ــ قمر .

وراح الأب يخلع ثيابه ، ودنت منه وقالت له :

ــ يا راجل اعقل . بلاش تبذير .

فقال فى هدوء :

ــ دى الحكايه كلها وقه .

ــ اوعى لنفسك . طالع لك بنات ، ح يعوزوا تقلهم .

ــ ربنا هو اللى بيرزق .

ــ والله ما أنا عارفه لو واحده فيهم اتخطبت ح تعمل فيها إيه ؟

ــ يبقى وقتها يعين الله .

ــ أنا عارفه ما بيعجبكش كلامى . كل واحد ما بيعجبوش الا

عقله ، قال على رأى المثل .

وصمتت الأم وتحركت لتغادر الغرفة ، فقال الأب وهو يرتدى جاكتة بيجامته التى تختلف فى لونها عن البنطلون :

ـــ ما تكملى المثل : لو جابوا للمجنون ألف عقل على عقله ما يعجبوش إلا عقله .

فقالت وهى تخرج :

ـــ أنا ما قلتش انت اللى قلت .

وارتفع صوت أحلام :

ـــ اتفضلوا الأكل جهز .

ونادى مراد :

ـــ سوسن تعالى خدى هاله خلينى آكل .

وأقبلت سوسن وحملت هالة ، وإذا بعاطف يقبل ويجذب سوسن من ثوبها :

ـــ هاتيها أنا اللى ح أشيلها .

وصاحت سوسن :

ـــ ماما .. ماما .. الحقى .. عاطف ح يوقع هاله .

وقالت الأم :

ـــ ادخلوا أودتكم ولعبوها سوا .

وجلس الأب والأم وأحلام ونبيلة وسامى ومراد حول المائدة ، وامتدت الأيدى فى تؤدة ، ثم أخذت سرعتها فى الازدياد ، فبدا أنها كانت فى سباق ، وإن هى إلا لحظات حتى كانت الصحاف نظيفة كأنما قد

غسلت .

ونهضوا يتسابقون إلى الحوض، غسلت نبيلة يديها ومراد وسامى خلفها يترقبان ، ودلفت إلى غرفتها ، فصاح سامى :

ـــ أيوه زوغى .

ـــ وانت مالك ؟

وبلغ ذلك الحوار مسامع الأم ، فنادت :

ـــ نبيلة ، تعالى اغسلى الأطباق دول ، أختك اتهد حيلها م الصبح .

فقالت نبيلة وهى تختفى فى حجرتها :

ـــ يا ماما ورايا مذاكره كتير .

وراحت أحلام تحمل الصحاف الفارغة إلى المطبخ ، والأم تهدر :

ـــ إيه الكلام الفارغ ده ، خشى نامى وسيبى الخدامين يخدموكى ، طب والله العظيم ما ح تغسل أحلام الاطباق دى ، ولو دودوا ، دا ظلم دا كفر .

ونهض الزوج ، ودخل إلى المطبخ ، وشمر عن أكمامه ، وراح يغسل الصحاف ليحسم الموقف ويريح رأسه !

ودخل كل إلى غرفته ليستريح بعد الغداء ، ودخل الزوجان حجرتهما ، وأغلقا بابها وتمددا فى الفراش ، وأسلمت الأم جنبها للرقاد . وما أن بدأت الراحة تمسح بيدها الحنون تعبها حتى أقبل عاطف يدق باب الحجرة بيديه فى قوة ، فنهضت وفتحت الباب ، وحملته ثم عادت به وأنامته إلى جوارها ، فسكن قليلا ، وما لبث أن تقلب فى الفراش ، وأخذ ينظر فى وجهها ، فضايقه أنها مغمضة العينين ، فمد يده



ونهض الزوج ، ودخل إلى المطبخ

يفتحهما ، فدفعت يده تبعدها عن عينيها ولكنه كان كالذباب اللحوح ، كلما أبعدت يده عن وجهها ، عادت تعبث بعينيها أو شعرها أو أنفها .

ومد أصبعه وأدخله فى أذنها ، فنفد صبرها ، فحملته وانطلقت به إلى حيث كان مراد وسامى وسوسن ، وقالت لهم :

— فين كرته ؟ العبوا معاه.

وقالت سوسن :

— ماما .. خدى هاله .

وقالت الأم وهى تسرع إلى غرفتها :

— اديها لنبيله .

وأغلقت الباب خلفها وارتمت فى الفراش ، وانقضت دقائق من الهدوء وإذا باب الغرفة يفتح ، وصوت سوسن يرن فيها :

— ماما .. ماما .. الحقى .. مراد شاط الكوره طارت ع الشارع .

وكان النوم أغلى من الكرة فلم تنبس الأم بكلمة ، وتقلب الأب متبرما ، ثم سحب الغطاء وأخفى وجهه وأذنيه ، حتى لا يسمع .

وانسحبت سوسن ، وكأنما عز عليها أن تعود مهزومة ، فقالت لمراد :

— ماما جايه لك .

ومرت لحظات هنيئة كلها هدوء وصفاء ، تبعها صوت باب يصفق فى قوة ، ثم انهيار زجاج ، فقفزت الأم من نومها مفزوعة ، وانطلقت مرعوبة ، فإذا بها تجد عاطفا واقفا وهو مذهول وقد تناثر حوله زجاج الباب ، وارتفع صوت الأب مستفسرا :

ـ جرى إيه ؟

ـ عاطف كسر قزاز الباب .

فقال الأب فى ضيق :

ـ هو كل يوم لوح قزاز ؟

وقالت الأم فى راحة :

ـ الحمد لله ربنا ستر ، لو وقع عليه كان قتله .

وبكت هالة ، فذهبت سوسن إليها وأخذتها من جوار نبيلة ، ثم انطلقت إلى أمها وقالت :

ـ ماما .. ماما .. خذى هاله .

فقالت الأم فى زجر :

ـ ابعدى دلوقت .. انتى عميتى ؟

ـ بتعيط .

ـ اديها لابوكى .

وعكفت الأم على التقاط الزجاج المتناثر ، وهى تبعد عاطفا عنه ، وانسلت سوسن إلى غرفة أبيها ، وقالت :

ـ بابا .. خد هاله .

واستيقظ الأب ، وحمل ابنته ، ثم خرج بها إلى المطبخ ، يعد لها زجاجة لبن .

وعاد الأب مسرعا ووضع هالة فى سريرها ، وألقمها الحلمة المطاط ، وطفق ينظر إليها وهى تمتص اللبن فى حنان .

ودلفت الأم إلى الحجرة ، وأغلقت الباب خلفها ، ووقفت ترمق

زوجها وابنتها برهة ، ثم تقدمت منهما وقالت :

ــ قول لى : بتحب البنت دى قوى كده ليه ؟.

فقال وهو يبتسم :

ــ بنت الشيبه .

جلست على طرف السرير وقالت :

ــ إلا الواحد بيحب آخر ولاده ليه ؟

فاعتدل وقال وهو يفكر :

ــ يمكن عشان يبقى حاسس إنه ح يتحرم من عطفه بدرى .

ومرر يده بحنان على جسم هالة وقال :

ــ يا ترى مين اللى ح يربيكى ؟

فقالت الأم فى سرعة :

ــ ما ح يربيها ويجوزها غيرك .

فقال الأب وقد شرد ببصره :

ــ مش باين .

فقالت الأم وهى تجذبه من طرف بيجامته :

ــ طيب نام بقى والنبى ما تمغصش بطننا .

وتمددا فى السرير ، ولزم الزوج الصمت ، وظهر القلق فى وجه الزوجة ، وأرادت أن تنزل الطمأنينة بصدرها ، فقالت :

ــ هو انت مش زى ابويا ، أبويا عاش لما جوزنا كلنا .. عندك ٤٥ سنه وكمان ستاشر سنه لما تتجوز هاله يبقى عندك ٦١ سنه ، مش ح تعيش ٦١ سنه ؟!

ـــ الأعمار بيد الله .

لما يبقى عند هاله ستاشر سنه ح اجوزها على طول ، مش ح استنى ولا يوم .

ـــ ما تقولش الخطاب واقفين على الباب !

فمدت يدها ومررتها على شعره ، ثم رفعت صدرها وانحنت فوقه ، وقبلته قبلة على خده أودعتها كل حبها .

وأغمضا عيونهما ، وراحا فى سبات .

* * *

ونهضت أحلام ووقفت أمام المرآة تصفف شعرها ، ثم فتحت درجا وأخرجت حلقها ، ثم صاحت :

ـــ إيه القرف ده ! مين اللى كسر الحلق ؟

فقالت سوسن :

ـــ عاطف كان بيلعب بيه .

وراحت تعبث فى الدرج ثم قالت :

ـــ فين السيكوتين ؟

فقالت نبيلة ، وهى ترتدى ثيابها ، وتقرب وجهها من المرآة وتتحرك فى خطوات راقصة :

ـــ كان مع سامى .

وأقبل سامى متحديا :

ـــ كنتى شوفتينى خدته ؟

ـــ مش كان فى إيدك الصبح !

ـــ ما تبطلى الكدب بأه .

ـــ ما حد كداب غيرك .

ونظر إليها مليا وقال :

ـــ وبتزوقى وراحه على فين ؟

ـــ مش شغلك .

واستيقظ الأب والأم على صياحهما ، ولكنهما ظلا فى الفراش ينصتان ، وقالت أحلام :

ـــ نبيله جايه معايا ، رايحين نزور فايزه صاحبتى .

فاتخذ سامى هيئة رجل وقال :

ـــ ما عندناش بنات يخرجوا لوحدهم .

فقالت نبيلة فى ضيق :

ـــ وانت مالك يا بايخ ؟

فقال سامى فى إصرار :

ـــ إذا كانت أحلام ح تروح لفايزه أنا ح اروح معاها .

وهز الأب رأسه معجبا ، ورفت على فمه بسمة رضا ، وتحركت الأم فى فراشها وجلست متحفزة ، وارتفع صوت نبيلة متحديا :

ـــ ح اروح غصب عنك ..

ـــ مش راحه .

وصاحت نبيلة :

ـــ هو انت ابويا ؟!

وقال الأب لزوجته :

ــ ما تخرجى لاولادك دول .

ــ زقنى وخليك بعيد ، لما العيال كرهتنى .

وصاحت نبيلة :

ــ يا ماما ، ما تحوشى الشيخ ابو العيون ده !

وقالت الأم وهى تفتح الباب :

ــ دانتو بنتين ، ترجعوا فى الضلمه لوحدكو ازاى ؟

فقالت نبيلة فى ثورة :

ــ وفيها إيه يعنى ما دام أنا واثقه من نفسى ؟!

وقال سامى ساخرا :

ــ واثقه من نفسى !.

ودارت نبيلة على عقبيها ، والتفتت اليه متحدية وقالت :

ــ آه واثقة من نفسى ، أمال زيك .. ح تسكت واللا اتكلم انسفلك ؟

فقال سامى فى تخاذل :

ــ ح تقولى إيه يعنى ؟

ونهض الأب ووقف بالقرب من الباب يصغى .

ــ ح اقول ع السجاير اللى بتشربها .

وخرج الأب من غرفته ليشترك فى المعركة ، وقال :

ــ سجاير ؟ والله عال مش فاضل الا السجاير !

وصاحت الأم :

ــ إياك نكفيكو عيش ، قال سجاير قال .

وأحس سامى أنه وقع فى المصيدة ، فقال صارخا .

ـــ كدابه .. والله كدابه ..

فقالت نبيلة ، وهى تدنى وجهها منه فى حركة تمثيلية :

ـــ والسيجاره اللى كنت بتشربها بالليل ؟

ـــ دى سيجاره حلاوه اشتريتها من مراد ؟

فقال مراد فى بساطة :

ـــ أبدا .. ماحصلشى .

فثار سامى وقال :

ـــ يا كداب .. بتنكر عشان تبقى تشترى منك !

فقال مراد وهو يهز كتفيه :

ـــ ما خلاص التجاره فلست .

فقالت له أمه فى زجر :

ـــ قول الحق .

فقال مراد وهو يبتسم :

ـــ الحق .. الحق .. أنا اللى اديته السيجاره .

فلطمته أمه على وجهه وقالت :

ـــ أمال بتكدب ليه ؟

فقال مراد وهو يتحسس وجهه بيده .

ـــ الحق على اللى قلت الحق .

وقالت الأم :

ـــ إذا كانت أحلام خارجه ما حدش ح يخرج معاها الا سامى .

فقالت نبيلة فى غيظ :

ـــ يا سلام ! عشان ما هو ولد ؟

فقال لها سامى وهو يخرج لها لسانه :

ـــ راجل .

واتجهت نبيلة إلى أحلام وقالت لها :

ـــ طب هاتى بلوزتى بقى .

فقالت الأم :

ـــ وبعدين معاكى يا نبيله ؟

ـــ مش عايزه حد يلبس هدومى .

فقال سامى وهو يرتدى ملابسه ، ويسرح شعره :

ـــ لو كنتى ح تروحى معاها كنتى اديتيها لها .

ـــ ما لكش دعوه يا بايخ .

خلعت أحلام « البلوزة » وألقت بها فى وجه نبيلة ، وراحت ترتدى بلوزة أخرى ، وانتهى سامى من ارتداء ملابسه . ودخل غرفة أحلام فرآها تمرر أصابعها على شفتيها فقال لها :

ـــ إن حطيتى أحمر فى شفايفك مش ح امشى معاكى .

فقالت له نبيلة :

ـــ جتك القرف فى شكللك .

فأخرج لها لسانه ، فتركت له الغرفة وانصرفت .

وتحرك سامى وأحلام ، وسار عاطف خلفهما ، حتى إذا ما فتح الباب تقدم عاطف ليخرج ، فصاحت سوسن :

ـ ماما .. ماما الحقى . عاطف نازل الشارع .

ـ سيبيه يتهوى .

واغتاظت سوسن ، فقالت :

ـ أنا مالى .. أهو دلوقت يوسخ هدومه .

وذهبت إلى حافظة كتبها القماش وحملتها واتجهت إلى حيث ذهبت نبيلة . ولمحت مراد يعبث فى الصوان ، فقالت له :

ـ مش ح تذاكر ؟

فقال لها بصوته المنبعث من حنجرته ، وقد نفرت عروق رقبته :

ـ إيه ! ما ادينى بدور على كراسى فاضى أهو .

وعثر مراد على الكراس ، وانطلق خلف سوسن .

وتحرك الأب ليغادر غرفته ، وقبل أن يخرج التفت إلى زوجته وقال لها :

ـ وراكى إيه النهارده ؟

ـ المرار اللى ما بيخلصش ، ح اخيط شرابات العيال ، واركب لهم الزراير .

وبدأت تحمل كومة من القمصان ، وعلبة رصت فيها الجوارب الممزقة ، وقال الزوج :

ـ أنا ح اقرا الجرنال .

ـ لأ . وراك شغل كتير .

ـ ورايا ايه ؟

ـ جزم وصنادل العيال عايزين يصلحوا أهم عندك ورا الباب :

ونظر خلف الباب ، فرأى صندوقا من الورق المقوى ، تكدست فيه أحذية الأولاد وصنادلهم ، فحمل الصندوق ، وانطلق إلى الردهة الخارجية ، ووضع الصندوق على الأرض ، ثم اتجه إلى المطبخ ، وأحضر كرسيا قصيرا صنع من الخشب ، وعلبة صفيح بها خيط وسكينة أحذية وإبر ومسامير وقدوم ، وحمل سندانا مما يستعمله من يقومون بإصلاح الأحذية وذهب إلى الردهة .

وجلس على الكرسى ، وقد وضع السندان أمامه ، ومد يده فى الصندوق وأخرج حذاء سوسن وراح يقلبه فألفاه مفتوقا ، فوضعه على فخذه ، ومد يده فى العلبة الصفيح يأخذ الإبرة .

وأقبلت الأم ووضعت كوم القمصان على الأريكة ، ثم جلست ترفو الجوارب وهى تنظر إلى زوجها بين لحظة وأخرى ، وهو منهمك فى خصف نعال أبنائه ، والتقت عيونهما مرة ، فابتسم الزوج وهو يغمز بعينه :

ــ صنعه فى اليد .

الفصل الثالث

أتى المساء . وانتهى حسين من إصلاح أحذية أبنائه ، وأتمت زينب تثبيت الأزرار وإصلاح الرتوق ورفو الجوارب ، فقامت تحمل البنطلونات والقمصان على رأسها ، وعلبة الخيط والجوارب فى يديها ، وسارت قليلا ثم توقفت والتفتت خلفها وقالت :

ــ والنبى يا حسين تكوى للأولاد قمصانهم .

ووضعت علبة الخيط تحت إبطها ، ومدت يدها تسحب القمصان من فوق رأسها ، وتدفع بها إلى زوجها .

تناول حسين منها القمصان ، وأخرج من الصوان مكواة كهربية ، ومفارش وأغطية راح يفرشها فوق المنضدة ، وجاء بكوب ماء ، وأخذ يملأ فمه بالماء ويرشه على القمصان ثم يكورها ويضعها على المنضدة .

وبدأ فى الكى ، وإذا بصوت سوسن يرن فى الردهة :

ــ بسم الله الرحمن الرحيم . قل أعوذ برب الناس ، ملك الناس ، إله الناس ، من شر الوسواس الكناس .

فصاح الأب وهو مستمر فى عمله :

ــ الخناس يا سوسن .

فأصلحت سوسن خطأها واستمرت فى القراءة :

ــ من شر الوسواس الخناس ، الذى يوسوس فى صدور الناس .

وكانت الأم قد انتهت من وضع البنطلونات والجوارب فى أماكنها وأقبلت ، فقالت لزوجها :

ـ الخناس يعنى إيه ؟

فشرد حسين وقال :

ـ الخناس ؟.. الخناس ؟.. هاتى مختار الصحاح نشوف معناها بالضبط إيه ، وهمت بالتحرك . وإذا بزوجها يقول :

ـ ولا مالوش لزمه .

ـ ليه عرفت معناها ؟

ـ أبدا ، بس ح نتعب نفسنا من غير لزمه .. ما فيش كلمه دورت عليها فيه الا لقيت مكتوب الشيء الفلانى « معروف » .

ـ يعنى إيه معروف ؟

ـ يعنى سهل قوى ، مش محتاج لشرح ، الناس كلها عارفاه .

ـ طب والنبى لما اروح اشوف شارح « الخناس » بإيه .

واتجهت إلى غرفة الاستذكار ، إنها غرفة بسيطة ، بها مكتب واحد متواضع ، وصوان صفت فيه الكتب ، لا ضلف له . أسدلت عليه ستارة ، وقد جلست نبيلة خلف المكتب ،بينما انبطح مراد على وجهه على الأرض ، وقد بسط أمامه كتاب الحساب وكراسة ، وجلست سوسن على كرسى من القش ، ترتل القرآن وتهز رجليها .

ونظرت الأم ، فألفت عاطف قد نام فى كرسيه ، وقد تكور فيه ، بينما نامت هالة على الأرض ، فقالت لنبيلة :

ـ حرام عليكى .. هو انتى ما فيش فى قلبك رحمه ؟

فقالت نبيلة فى دهش :

— فى إيه ؟

— مش شايفه اخواتك نايمين ازاى ؟

— دول لسه نايمين دلوقت .

— ناموا يا كبدى من غير عشا .

— ما كلوا العصر .

وذهبت إلى هالة وحملتها فى رفق ، ثم التفتت إلى نبيلة ، وقالت :

— هاتى أخوكى .

فرمت نبيلة الكتاب من يدها فى تبرم وهى تقول :

— أف .. الواحد ما يعرفش يذاكر فى البيت ده .

— يعنى المذاكره حليت دلوقت ، لما كنتى ح تخرجى مع أحلام ما فكرتيش فى المذاكرة ؟

وحملت نبيلة عاطفا ، وسارت الأم وبين يديها هالة ، وخلفها نبيلة ، وعلى كتفها عاطف ، واتجهت الأم إلى غرفتها وذهبت نبيلة إلى غرفة البنين .

وضعت الأم هالة فى فراشها فى حنان ، وراحت تخلع لها حذاءها فى رفق ، ثم مالت ووضعت على خدها قبلة .

ودخل الأب الغرفة وهو يحمل القمصان ، فالتفتت إليه زوجته ، وقالت :

— إيد ما نعدمها .

ثم دنت منه وقبلته فى خده ، فأشرق وجهه ، ورفت على فمه بسمة

رضا .

ووضعت نبيلة عاطف على فراشه وخلعت له فردة حذاء ثم غطته فى عجلة ، وفى رجله الأخرى « فردة » .

عاد الأب والزوجة إلى غرفة الاستذكار ، وإذا بسوسن تردد القسم ، وهى واقفة :

ــــ أقسم بالله ، أن أكون مخلصة لمصر ..

ورفع مراد رأسه والتفت ، فلما رأى أباه نهض وفى يده كتاب الحساب ، ذهب إليه وهو يقول :

ــــ مش فاهم المسأله دى .

فقال الأب وهو يبتسم :

ــــ ح تفهمها ازاى وسوسن عماله تذيع قرآن وأناشيد ؟

فقالت سوسن ورأسها مرفوع :

ــــ يعنى ماذكرش ؟! أطلع خايبه زيهم ؟

فقالت أمها وهى تربت على ظهرها :

ــــ كفايه النهارده . أكلك فى النمليه كليه وخشى نامى .

ــــ حاضر يا ماما .

وأقبلت نبيلة ونظرت ، فلما رأت أباها فى الغرفة مدت يدها وتناولت الكتاب وخرجت لتستذكر دروسها فى غرفة أخرى .

وتناول الأب الكتاب من مراد ، وقرأ المسألة ، ثم قال :

ــ شوف يا مراد ، عندك حوض على شكل متوازى مستطيلات أبعاده من الداخل ١٢٠ سنتى و ١٠٠ سنتى و ٨٠ سنتى متر ، ركب عليه حنفيه تنزل ٦٠ لتر فى الدقيقه وفيه بلاعه تفرغ ٤٠ لتر فى الدقيقه ، فإذا فتحنا الحنفيه والبلاعه مع بعض ، بعد أد إيه يتملى الحوض ؟

فقالت الأم فى حماسة :

ــ كلام إيه الفارغ ده ، اللى عايز يملا الحوض يسد البلاعه ، إنما يفتح الحنفيه ويسيب البلاعه مفتوحه يبقى جنان .

ــ المسأله بتقول كده .

ــ يعلموا العيال حاجه معقوله .

ومد مراد يده ، وأخذ الكتاب من أبيه وأغلقه ، فقال له أبوه :

ــ بتعمل إيه يامراد ؟

فقال مراد وهو يضع الكتاب على المكتب :

ــ ما دام حاجه مش معقوله أفهمها ليه !

وتحرك ليغادر الغرفة ، فقال له أبوه :

ــ تعال ، رايح فين ؟

ــ رايح آكل وانام .

ودق جرس الباب الخارجى ، فذهب مراد وفتحه ، فاندفعت أحلام فى مرح يتبعها سامى فى تؤدة ، وسارت حتى بلغت غرفة الاستذكار ، فأطلت برأسها وقالت متهللة الأسارير :

ــ السلام عليكم .

ثم صارت تصفر ، وكل خالجة فيها تنطق بسرورها ، وراحت الأم تتبعها بنظرها برهة ، ثم قالت :

ـــ إيه اللى جرى الليله دى ! أحلام مش زى عوايدها .

ـــ مزقططة ومش على بعضها .

وارتفع صوت أحلام فى غناء :

ـــ مال الهوا يا امه .

فالتفتت الأم إلى زوجها ، وقد اتسعت عيناها دهشة :

ـــ سامع .. بتغنى . وما سمعتهاش بتغنى قبل الليله أبدا .

وأنصت الزوج مليا ، ثم التفت إلى زوجته وقال :

ـــ غريب . صوتها طالع من قلبها .

ثم قالت بصوت خافت :

ـــ تكونشى بتحب ؟!

فهبت الأم كمن لدغتها أفعى :

ـــ بتإيه ؟ هو انا عندى بنات يعرفوا الكلام ده !

وانطلقت خافقة القلب إلى غرفة ابنتها ، فألفتها قد خلعت ثيابها ، ووقفت أمام المرآة تتفرس فى مفاتنها التى عجز القميص الشفاف عن سترها ، وأخذت الأم تنظر إلى ابنتها مليا ، فرأتها لأول مرة فتاة نامية ، اكتملت أنوثتها ، فاشتد وجيب قلبها وتقدمت إليها فى قلق ، وقالت :

ـــ شفتى مين عند فايزه ؟ كان مين اللى قاعد معاكو ؟

فقالت أحلام فى بساطة :

ـــ ما كانش فيه حد غريب .. كانت فايزه وأمها وابوها وجلال .

فقالت الأم فى اضطراب :

ــ وجلال كان قاعد معاكو !

ــ أيوه يا ماما .

فقالت الأم فى صوت فيه رنة غضب :

ــ وازاى يقعد معاكو ؟

ــ وفيها إيه يا ماما ؟ لقى سامى قاعد قعد .

ــ لكن سامى لسه صغير ، إنما جلال بقى راجل .

سمع سامى الحوار الدائر بين أمه وأحلام ، فخرج من غرفته ، وانسل إلى الغرفة الثانية حتى يشترك فى الحديث ، وقال :

ــ أنا كنت قاعد فى أدبى مش زى جلال .

فقالت أحلام فى ثورة وقد توردت وجنتاها ، فازدادت جمالا :

ــ ما كان قاعد فى أدبه راخر ، قول لى عمل إيه كده ؟

فالتفت سامى إلى أمه وقال :

ــ لو شفتيه وهو بيبص لها ح ياكلها .

فتقدمت أحلام نحوه صائحة :

ــ خللى عندك أدب .

ولم يأبه لها ، بل استمر يقص على أمه ما حدث :

ــ طول ما هو قاعد يبص لرجليها .

واتسعت عينا الأم ، ونظرت برغمها إلى ساقى ابنتها العاريتين ، فامتلأت حنقا ، واحتقن وجه أحلام بالدم ، وصاحت :

ــ ما بس بلاش كلام فارغ .

وهز سامى رأسه فى عدم اكتراث بها ، وقال :

ــ ولو شفتى اللى عمله أبو فايزة .

فقالت الأم فى فزع :

ــ وعمل إيه راخر ؟

فتقدم وهو يقلد الرجل فى حركاته وفى نبرات صوته :

ــ طبطب على خد أحلام وقال لها : « أهلا مرات ابنى » .

فقالت الأم وهى تشهق :

ــ مرات ابنه .. مرات ابنه ازاى !؟

وخرجت كالعاصفة ، وانطلقت إلى غرفة الاستذكار ، فإذا بزوجها قد اضطجع وراح يقرأ الجريدة فى هدوء ، فصاحت فيه :

ــ يا بختك بروقان بالك .

فنحى الجريدة ، واعتدل وقال :

ــ حصل إيه ؟

ــ قال الرجل يطبطب على خدها ويقول لها : أهلا مرات ابنى .

ــ بيهزر معاها .

ــ هزار إيه البايخ ده اللى يفتح عنين الاولاد ؟

وجاء سامى خلف أمه يسعى ، ودخل الغرفة وقال :

ــ نسيت اقول لك .

ــ نسيت إيه كمان ؟

فأمسك الباب بيده ، ووضع ساقا على ساق ، ومال قليلا ناحية ذراعه التى أمسك بها الباب وقال :

ــ أبو فايزه وامها وجلال بيقولوا لكم إنهم ح بيجوا يزوروكم يوم الخميس الجاى .

فقالت الأم فى دهشة :

ــ إيش عجب ! لا يعرفونا ولا نعرفهم .

وشردت ببصرها ، وراحت الأفكار تتزاحم فى رأسها ، وصمت الأب يفكر ، ونظر سامى إلى أمه وإلى أبيه ، فألفاهما شاردين ، فهز كتفيه وقال قاطعا حبل تفكيرهما :

ــ مش ح تتعشوا ؟

فقالت الأم فى سرعة للتخلص منه :

ــ إحنا شبعانين ، روحوا اتعشوا انتم .

وانسحب سامى ، وجلست الأم على أقرب مقعد ، وقد حملت رأسها بكفها ، وأرادت أن تطمئن إلى الأفكار التى نمت فى رأسها فقالت :

ــ تفتكر يا حسين بيجوا يزورونا ليه ؟

ولم يشأ أن يعبر عن الخواطر التى طفت على سطح ذهنه ، حتى لا يسبب لها ألما إذا ما خاب حدسه ، فقال :

ــ إيش عرفنى .

وساد الصمت بينهما ثانية ، وانفرد كل منهما بأفكاره ، حتى أفاق حسين على صوت كرسى يسحب من الخارج ، فالتفت إلى زوجته وقال :

ــ يللا يا زينب ننام .

فنهضت وهى تقول :

ـــ يللا .

ـــ ودخلا غرفتهما ، وتمددا فى السرير ، وراحت زينب تتقلب قلقة ، فقال لها زوجها :

ـــ ما تنامى .

ـــ مش جاى لى نوم .

وخيم الهدوء على الغرفة ، ثم تنهدت زينب بصوت مسموع ، فقال لها زوجها :

ـــ بتفكرى فى إيه ؟

ـــ يا ترى الناس دول شكلهم إيه ؟

ـــ ناس زينا ، لهم عنين وودان وبق ومنخير .

ـــ مش قصدى .

ـــ أمال قصدك إيه ؟

ـــ يا ترى دول ناس طيبين واللا جنسهم إيه ؟

فقال لها وهو يربت على ذراعها العارية :

ـــ نامى نامى .. بكره نعرف كل حاجه .

الفصل الرابع

جلست زينب أمام « التواليت » وراحت تصفف شعرها ، ولمحت زوجها مقبلا فى المرآة ، وهو يرتدى بيجامته ، فقالت له :

ــ ح ننزل نشترى للأولاد جزم .

فقال لها الزوج وهو يعبث بذقنه :

ــ ماصلحناهم أول امبارح .

ــ جزمهم بقت عره ، والناس ح ييجوا بكره ، يقولوا علينا إيه ؟

ــ دول ما بقالهمش شهر .

ــ أنا عارفه بيعملوا فيهم إيه ؟

وصمتت قليلا ثم قالت :

ــ خد مقاسهم ويللا .

ــ طب البسى انتى وما تأخريناش .

فقالت وهى ترفع حاجبها عجبا :

ــ بقى أنا باغيب فى اللبس ، والله ما طلع علىّ الحكايه دى غيرك .

فقال وهو يغادر الغرفة :

ــ لما نشوف .

ونادى وهو فى طريقه إلى الردهة :

ــ سامى ، هات ورقة بيضه وقلم رصاص .

وأقبل سامى ومراد وعاطف وسوسن ، ووقفت نبيلة على باب غرفتها تنظر . قدم سامى إلى أبيه الورقة والقلم ، فوضع الأب الورقة على الأرض ، وقال لعاطف :

ـ حط رجلك .

فوضع عاطف قدمه عارية فوق الورقة ، وأخذ الأب يمرر القلم الرصاص حول القدم ، ليحدده على الورقة ، وقال سامى :

ـ مقاس رجلى ٣٩ .

وقال مراد بصوته المنبعث من حنجرته :

ـ وأنا مقاسى ٣٦ .

ورفع عاطف قدمه ، ووضعت سوسن قدمها ، وراح الأب يرسمها على الورق ، وقالت نبيلة :

ـ أنا عايزه جزمه « سبور » ٣٧ .

والتفتت نبيلة خلفها ثم قالت :

ـ وأحلام عايزه جزمه بكعب عالى ٣٦ .

وإذا سوسن تربت على خد أبيها وتقول :

ـ وأنا يا بابا عايزه جزمه بكعب عالى .

ودنا عاطف وقال :

ـ وانا كمان .

وقال الأب وهو يتجه إلى غرفته :

ـ حاضر .

ودخل يرتدى ثيابه ، فالتفت إلى زوجته فألفاها لا تزال تصفف

شعرها ، فقال :

ــ لسه !

فقالت له :

ــ والنبى البس انت وما تلخمنيش .

وارتدى قميصه وبنطلونه ، وجلس يدس قدمه فى الجورب ، وإذا بسوسن مقبلة تصيح :

ــ ماما .. ماما .. إلحقى سامى بيحلق دقنه .

وقام الأب وقد لبس « فردة » جورب وقدمه الأخرى حافية ، وذهب إلى الحمام ، فوجد الصابون الغزير يغطى ذقن سامى : فقال له الأب فى زجر :

ــ إيه اللعب ده ؟ تهيج دقنك .

فقال سامى فى مكابرة :

ــ هو انا عملت حاجه ! أنا باغسل وشى .

وأقبلت نبيلة وقالت :

ــ مستعجل قوى ، عايز تبقى راجل .

فقال لها سامى :

ــ وانتى إيش حشرك ؟

وقالت سوسن :

ــ شفت يا بابا هو اللى بياخد امواسك ويقول إن أنا اللى باخدهم أبرى بيهم الأقلام .

ومد سامى يده وقبض على ذراع سوسن ، وهزها فى غيظ :

ـــ يا بت انتى بطلى الكذب والتأويم .

وصرخت سوسن وقالت وهى تبكى :

ـــ آه يا دراعى .

فقال الأب فى غيظ :

ـــ إنت بتضربها ليه ؟

فقالت نبيلة :

ـــ ماحدش مالى عينه .

وصاحت الأم :

ـــ ما بس بقى ، والله لو صحيت هاله ما حد ح يشيلها غيركم .

وانسلت نبيلة إلى حجرتها ، وخرجت سوسن وهى تمسح دموعا متوهمة ، وعاد الأب إلى الغرفة يستأنف لبسه ، فوجد الجورب قد ابتل بالماء ، فخلعه وقام يحضر جوربا آخر . وأتم ارتداء ثيابه ، وزوجته جالسة لا تزال بقميص النوم أمام التواليت ، وفى يدها أصبع الأحمر تمرره على شفتيها ، فقال لها :

ـــ أنا يدى أعرف بتزوقى لمين بس ؟

فقالت فى دلال وهى تنظر فى المرآة :

ـــ لك يا راجل .

ـــ ماانتى قاعده كل يوم فى البيت من غير زواق ، واشمعنا الأبيض والأحمر ما يحلاش إلا ساعة الخروج .

ـــ عايزنى أمشى جنبك عره ؟!

ـــ إذا كان على أنا عاجبنى من غير زواق ، بس شهلى ، والله ما حد

ح يخطبك ، اتجوزتى وخلاص .

ــ آهو انت اللى بتعطلنى وترجع تقول باغيب فى اللبس .

فقال وهو يهم بمغادرة الغرفة :

ــ ما فيش فايده ، كل الستات يحبوا إن الرجاله يصفروا لهم .

ــ مش كلهم .

ــ كلهم ، وانتى أولهم ، فاكره يوم ما جيتى فرحانه وقلت لى إنك كنتى ماشيه بين اتنين صحابك وواحد قال لك : أحلاهــم اللى فى الوسط !

ــ طب اخرج بقى خلينى البس ، الحق علىّ اللى بقول لك كل حاجه .

وخرج من الغرفة ، وراح يغدو ويروح فى الشقة وقد لاح فى وجهه الضيق ، ووقع بصره على الراديو ، فذهب إليه ليديره لعل النغمات المنبعثة تنزل الراحة بصدره ، وتعينه على الصبر .

ونظر إلى الراديو فاتسعت عيناه دهشة ، كان زجاجه محطمــا ، وعقاربه منزوعة ، والأزرار التى تدير العقارب مفكوكة ، فقال :

ــ راديو إيه ده ؟ بتدوروه ازاى ؟!

فأسرعت سوسن إليه وقالت :

ــ عايز أنى محطه ؟ مصر واللا صوت العرب ؟

فقال الأب :

ــ أى محطه .

فمدت يدها تدير ذلك المسمار العارى الذى كان مركبا عليه زرار

العقارب ثم توقف وقالت :

ـــ آهى دى محطة القاهره .

فالتفت أبوها إليها وقال :

ـــ يعنى ما نطقش .

فقالت سوسن فى بساطة :

ـــ ده ما بيمشيش إلا بالضرب ، إدى له على نافوخه .

فنظر إليها وهو لا يفهم مما تقول شيئا ، فأسرعت إلى الراديو وضربت سقفه بقبضة يدها الصغيرة ، فانبعث صوت الراديو مجلجلا فى الشقة .

وجلس الأب يصغى برهة ثم نهض واتجه إلى غرفة النوم ونظر ، فألفى زوجته لا تزال تقوم بارتداء ملابسها ، فعاد إلى الراديو ضيق الصدر ، وضرب سقفه فى غيظ بقبضة يده ، فإذا بالراديو يسكت عن الكلام .

وعاد ثانية إلى حيث كانت زوجته ، وقال :

ـــ ما تيللا بقى .

فراحت تمرر زجاجة العطر خلف أذنيها فى هدوء ، ثم مدت إليه يدها بالزجاجة وهى تقول :

ـــ خد ، إتريح .

فانقشع غضبه سريعا وقال :

ـــ بعدين الستات تجرى ورايا .

ـــ مش أحسن ما تجرى منك ؟

ومد يده وجذبها من يدها وهو يقول :

ـــ إتأخرنا خالص ح نخرج فى الضلمه .

وجذبت يدها منه وقالت :

ــ طب لما اقفل الدولاب .

وأغلقت الدولاب ، ووقفت أمام مرآة « التواليت » تنظر إلى ظهرها ، فمد يده وجذبها فانقادت له .

وخرجا من الغرفة وسارا فى الردهة ، وإذا بها تقف فجأة وتقول :

ــ والله ما حد بيلخمنى غيرك ، نسيت آخد مقاس رجل هاله .

وعادت إلى الغرفة . ووقف فى الردهة يصرف أنيابه ، وغابت قليلا ثم عادت ، وانطلقا حتى إذا بلغا باب الشقة الخارجى قالت :

ــ أوه ، نستنى الجوانتى .

وتركته وعادت لتحضر قفازها ، ووقف يدق بقبضة يده دقات مكتومة تنم عن ضيقه ونفاد صبره .

وعادت إليه تعبث بقفازها ، وعلى فمها ابتسامة هادئة ، ففتح الباب وقال :

ــ اتفضلى ، على الله ما تكونيش نسيتى حاجه تانيه .

وانطلقا ، حتى إذا بلغا شارع ٢٣ يوليو ، راحا يتفرسان واجهات المحال ، وقال لها :

ــ مش ح نخش نشترى بقى ؟

ــ مش لما نتفرج قبله .

وسارا ، وإذا بشاب يصفر ، فالتفت إلى زوجته وقال :

ــ ما تفرحيش ، مش بيصفر لك ، بيصفر للى ورانا .

والتفتت خلفها ، وإذا بفتاة قد ارتدت ثوبا ضيقا مثيرا ، برز منه

نهداها ، وتعلو وجهها طبقة من المساحيق ، وقد ركبت رموشا طويلة وصبغت شعرها بلون الذهب ، فقالت :

ـــ إنت بتبص للفتارين ولا للماشيين ؟

فقال فى بساطة :

ـــ بتفرج .

ووقفا أمام محل يبيع أقمشة ، وقالت :

ـــ ما بقاش عندى فساتين أخرج بيهم ، تعال لما اقطع لى فستانين .

فقال فى صوت مضطرب :

ـــ لكن احنا نازلين نشترى جزم للأولاد .

ـــ دلوقت نشتريهم .

ودخلت إلى المحل ودخل خلفها ، وانسابت مسرعة إلى قسم الحراير وهو فى أثرها ، وقالت للعامل .

ـــ عايزه قماشه بيج وردتها صغيره .

وراح الرجل يعرض عليها القماش ، وهى ترفض :

ـــ لأ دى وردتها صغيره قوى .. لأ دى وردتها كبيره قوى .. عايزه ورده أكبر من دى شويه ، ورينى ورده أصغر من دى سنّه .

وتكدست أثواب القماش أمام العامل ، حتى كادت تخفيه ، ونفد صبر الزوج ، فتقدم من العامل وقال له :

ـــ لو كانت الفابريكه تنصف ، كانت تبعت لكم القماش ساده ، وتبعت معاه الألوان والفرش ، وكل زبونه ترسم الورده اللى على مزاجها .

وأحست الزوجة أن ضيق زوجها بلغ منتهاه ، فاختارت القطعتين وتناولت من العامل القسيمة ، ودفعت بها إلى زوجها ليدفعها .

وذهبا إلى محل أحذية ، واشتريا ما يحتاجان إليه بعد أخذ ورد طويلين بين الزوجة وصاحب المحل فى الأثمان ، وخرجا من المحل ، الزوج يضع لفة القماش تحت إبطه وتتدلى فى كل يد ربطة أحذية ، بينما سارت الزوجة إلى جواره تعبث بقفازها !

ووقفت الزوجة عند واجهة محل ، وراحت تتفرس فى حقائب اليد المعروضة ، ووقف الزوج بعيدا ، فإذا بها تلتفت إليه وتناديه ، فلما يدنو منها : تقول له وهى تشير بأصبعها من الزجاج :

ـــ إيه رأيك فى الشنطه دى ؟ شنطتى بقت عره .

ـــ اعقلى بلاش تبذير ، طالع لنا بنات .

ـــ هو احنا جبنا حاجه زياده ؟ حتى حتت الشنطه مستخسرها فيه ! ما استهلهاش ؟

ـــ إذا كانت عاجباكى خديها .

وهمت بالدخول ، فقال لها :

ـــ اسمعى قبل ما تخشى ، مكتوب عليها تلاته جنيه ، نخش ندفع الفلوس ونخرج ، مش عايز فصال ووجع دماغ ، إن فاصلتى ح اسيبك واخرج على طول .

ـــ طيب .

ودخل خلفها وهو لا يدرى كيف يوفق بين لومها له واتهامها إياه بالتبذير يوم اشترى أقة تفاح ، وبين ما تفعله اليوم !

وجعلت تقلب الحقيبة بين يديها ، وتجرب قفلها ، وتتفرس فى محتوياتها ، ولما اطمأنت إليها ، سألت :

ــ تمنها كام ؟

فقال الرجل :

ــ تلاته جنيه .

ــ كتير ، ميه وخمسين قرش بس .

واربد وجه الزوج ، ونظر إلى زوجه فى غيظ ، ثم غادر المحل وتركها وحدها ، ووقف أمام المحل يدق الأرض بقدمه فى ضيق ، وتقضى بعض الوقت ، ثم أقبلت الزوجة وفى يدها الحقيبة .

ــ خدتيها بكام ؟

فقالت فى هدوء :

ــ بميه وخمسين قرش .

فالتفت إلى المحل وهو يجز على أسنانه ، فمدت الزوجة يدها إليه وقالت وهى تجذبه :

ــ يللا .. أصل فلوسك كتير .

الفصل الخامس

جاء يوم الخميس ، وكان ميعاد الزيارة المرتقبة ، فدبت حياة عاصفة صاخبة فى الشقة، كان الأبناء جميعهم يرتدون أفخر ما عندهم حتى الأب راح يرتدى بذلته الرمادية التى كان يدخرها للمناسبات ، وارتفعت الأصوات واختلطت فكانت أشبه بالضجة المنبعثة من مشاهدى مباراة حامية فى كرة القدم .

وصاح سامى فى عصبية :

ــ المشط فين ؟ مين خده من قدامى ؟

فقالت نبيلة وقد خلعت جاكتة البيجاما ، ووقفت أمام المرآة تلف شعرها دوائر :

ــ أنا اللى خدته ، ما بقى لك ساعه بتتسبسب .

وصاح الأب :

ــ مين اللى خد الكرافته من هنا ؟

فصاحت نبيلة :

ــ مع سامى .

وخرج الأب من غرفته ، وهو عارى الساقين ، يرتدى قميصا أبيض ، واتجه إلى حيث كان سامى ، ووقع بصره على الكرافتة ، فانقض

عليها وأخذها وهو يقول :

ــ حتى الكرافته دى ح تاخذها ؟ دانا بقى لى خمس سنين مش عارف أشترى غيرها .

ونادت أحلام :

ــ نبيله نبيله ، والنبى تناولينى البنس .

فاتجهت نبيلة إلى الحمام ، ودفعت إلى أحلام بالبنس .

وصاح عاطف فى بكاء :

ــ لأ ما البسش البنطلون ده ، عايز البنطلون الأحمر .

وقال مراد وهو يدس قميصه فى البنطلون فى إهمال بحيث أصبح القميص من أمام داخل البنطلون ، بينا كان طرفه الخلفى خارجه :

ــ ما تدى له البنطلون اللى هو عايزه .

وجاءت سوسن تهرول ، وهى ترتدى فستانا قصيرا كشف عن ركبتيها، وهى تقول :

ــ ماما .. ماما .. لبسينى الفستان .

وأولت ظهرها لأمها ، فهمت الأم بمد يدها لتصلح هندام ابنتها ، وإذا بعاطف يصيح :

ــ أنا مالى عايز البنطلون الأحمر .

وارتفع بكاء هالة ، فصاحت الأم :

ــ يا نبيله ، أنا مش عارفه بتعملى إيه عندك ، تعالى شوفى أختك .

وقال سامى وقد ارتدى ثيابه :

ـــ لما تخلص زواق .

ـــ أنا قلت لك ميت مره مالكشى دعوه بيه .

وقالت الأم لسامى :

ـــ فوت انت بقى روق لنا الشقه شويه .

فقال سامى :

ـــ هاتوا ثمن تذكرة السينما .

فقالت الأم بصوت عال :

ـــ إدى له يا حسين .

فقال الزوج فى ضيق :

ـــ ما كانوا قعدوا فى الشقه !

فقالت الأم فى حدة :

ـــ أنا واحده عيانه وما تجبوليش الأوى ، حرام عليكو كفايه قرف بقى !

فقال الأب وهو يدفع لسامى ثمن التذكرة فى صوت أقرب لصوت المعددة :

ـــ ليه العواذل حاسدينى ، دول حقهم يبكو على .

ورأى مراد أن سامى حصل على ثمن تذكرة السينما ، فتشجع واقترب من أبيه وقال :

ـــ وأنا ؟

فقالت الأم وهو تصفف شعر عاطف :

ــــ خد أخوك معاك ياسامى .

فقال مراد بصوته المنبعث من حنجرته :

ــــ لأ ما امشيش مع سامى ، بيزغدنى فى السكه .

فقال سامى وهو ينصرف :

ــــ ومين يمشى معاك ؟

وأخذ مراد نقوده ، وانطلق مهرولا وأمه تصيح خلفه :

ــــ تعرف تركب بيهم عجل ح اقطم رقبتك .

وخرجت أحلام من الحمام ، وهى فى قميص وردى ، تضع على كتفيها منشفة ، غطت بها ظهرها وصدرها ، وإن ظل الأخدود الغائر بين ثدييها عاريا ، واتجهت فى تؤدة إلى غرفتها ، كانت فى قرارة نفسها تحس أن اليوم يومها .

ونظر الزوج إلى زوجته وقال :

ــــ لسه ما لبستيش ؟ الناس زمنهم جايين .

ــــ ح البس أهو .

ووضعت يد عاطف فى يد سوسن وقالت :

ــــ اقفى باخوكى ع الباب .

فقالت سوسن :

ــــ طب هاتوا نضيع .

وأعطاها أبوها قرشا ، فرفضت أن تأخذه وقالت :

ــــ أنا شفتك اديت لسامى ومراد إيه ، عايز تضحك على ، واللا

يعنى عشان ما هم ولاد ؟

وأعطاها أبوها حتى رضيت ، وأقبلت نبيلة تحمل هالة وتقول فى ملل :

ـــ كان على ذنب أتحبس معاها النهارده .. ما كنت خرجت أنا رخره ..

فقال لها أبوها :

ـــ كنت تروحى على فين ؟

فقالت نبيلة وهى تلف بهالة فى حركة راقصة ؟

ـــ أى حته .

فقالت الأم وهى تخلع ثوبها :

ـــ ما هى الدنيا سايبه .

ودخلت نبيلة غرفتها وانبعثت من الراديو أنغام راقصة ، فراحت ترقص وهى ترفع هاله بيدها ، وأخذت تدور ، فقالت لها أحلام :

ـــ كفايه بقى زغللتى عنيه .

ولم تكف نبيلة عن الدوران ، بل قالت :

ـــ قولى لى الناس دول جايين النهارده ليه ؟

فقالت أحلام وهى تزرر فستانها :

ـــ أنا عارفه !.

ـــ كل حاجه فيكى بتقول إنك عارفه ، تسريحتك ، فستانك ، لمعان عنيكى ، الفرحه اللى ..

قالت أحلام مقاطعة :

ــ بس بلاش غلبه ، هو انتى ما بتتعبيش م الكلام !

وظلت نبيلة فى دورانها وحديثها :

ــ الكلام ده نعمه .. يمكن انتى ما تحسيش بيها ، لأن حواليكى ناس كتير بيكلموكى ، زى الشبعان اللى ما يعرفش قسوة الجوع ، ياما ناس يتمنوا يلاقوا اللى يكلموهم .

وارتفع صوت الأم ينادى :

ــ نبيله .. نبيله .

فقالت نبيلة وهى تتحرك فى خطوات راقصة :

ــ مؤكد ماما لبست الشراب .

وانطلقت إلى حيث كانت أمها ، فألفتها قد ارتدت ثوبها وجوربها وقد لفت بجذعها تنظر إلى بطن ساقها ، ولما رأت نبيلة ، قالت لها :

ــ شوفى خط الشراب معدول ؟

فنظرت نبيلة ثم قالت :

ــ معدول خالص ، وان ما كانش معدول ح يحصل إيه فى الدنيا ؟

فقالت الأم فى إيمان :

ــ إزاى ؟ دى قيمة الست فى شرابها .

وقالت نبيلة فى خبث :

ــ طب واللى من غير شراب ؟

فقالت الأم فى بساطة :

ــ ما لهاش قيمه .

وضحكت نبيلة ضحكة طليقة ، فهذا الحديث يدور بينها وبين أمها كلما لبست الأم جوربها .

وأقبل الأب وهو فى كامل هيئته ، ولمحته نبيلة فقالت فى مرح :

ــ إش . إيه الشياكه دى كلها ؟

فقالت الأم وهى تبتسم :

ــ يا بت خللى عندك أدب .

وقال الأب وهو يهز رأسه :

ــ الشياكه راحت من يوم انتم ما جيتوا .

ودق جرس الباب الخارجى ، فالتفت الأب إلى الأم فى اضطراب ، وقال :

ــ أهم جم . افتحى لهم الباب .

وقالت الأم فى قلق :

ــ أنا ما اعرفهمش . روح قابلهم انت .

وقالت نبيلة :

ــ انتوح تسيبوا الناس واقفين ع الباب ! أروح أفتح لهم أنا ؟

وقال الأب فى سرعة :

ــ لأ .. لأ .. أحلام اللى تفتح لهم .

وخرجت أحلام من غرفتها ، وسارت صوب الباب الخارجى فى حيوية ، وإذا بالأب يقول :

ـــ دخلى الستات فى الأوده المفروشه والرجاله فى المكتب .

ووصلت إلى الباب ، فوقفت برهة تصلح هندامها ، ثم مررت يدها على شعرها لتتأكد من أن الهواء لم يعبث به ، وفتحت الباب فألفت جلالا وأباه وأمه ، فرفت على فمها بسمة ، وتأخرت خطوة ، لتفسح الطريق ، وقالت :

ـــ تفضلوا .

والتقت عيناها بعينى جلال ، فأحست كأن تيارا كهربيا سرى فى بدنها ، واستشعرت نشوة وسارت فى خفة ، وأشارت إلى أم جلال أن تتفضل إلى غرفة الاستقبال وانطلقت أمام جلال وأبيه تقودهما إلى غرفة المكتب .

وجلس جلال وأبوه يقلبان عيونهما فى المكان فاحصين ، كان جلال شابا فى الثالثة والعشرين ، أسمر الوجه ، أسود العينين ، يميل أنفه إلى الكبر ، غزير الشعر ، متوسط القامة . وكان أبوه ربعة ، بارز الكرش ، مستدير الوجه ، أصلع الرأس على الرغم من غزارة شعرحاجبيه ، سقطت بعض أسنانه ولم يفكر فى أن يضع مكانها أسنانا صناعية .

وأقبل حسين وزوجته فى الردهة ، حتى إذا بلغا غرفة المكتب وقف حسين متمهلا كأنما يستجمع شجاعته ، ثم دلف إلى الغرفة ، بينما انطلقت زوجته إلى غرفة الاستقبال ، ولمحه جلال وهو مقبل ، فقد كان مقعده مواجها للباب ، فنهض لاستقباله ونهض أبوه .

ومد حسين يده مصافحا ضيوفه ، فقال أبو جلال معرفا بنفسه :

ـــ أنا مصطفى علوان .. ابنى جلال .

فقال حسين :

ـــ تشرفنا .. أنا حسين عبد المتعال .. أهلا وسهلا .. أهلا وسهلا . اتفضلوا .

ومر بعض الوقت فى ترحيب ، وجاءت نبيلة وهى تحمل هالة واقتربت من الغرفة تصغى ، وخطر لها أن تتخلص من هالة ، فعادت إلى غرفتها ، ووضعتها فى السرير لتنيمها وتمددت إلى جوارها ، وإذا بنبيلة تنام ، بينا راحت هالة تعبث فى شعرها .

وغادرت أحلام غرفة الاستقبال ، ومرت بالمكتب وتمهلت قليلا ، فرأت جلالا ينظر إليها مبتسما ، ثم يغمز لها بعينه فى غفلة من الأبوين الغارقين فى حديث تافه ، فأشرق وجهها والتمعت عيناها سرورا ، وانسلت فى خفة الغزال .

وغابت أحلام قليلا ثم عادت تحمل صينية عليها ثلاث صحاف فى إحداها موز وفى الثانية « جاتوه » وفى الثالثة برتقال من الحجم الكبير ، ودقت باب الغرفة بطرف الصينية وجلال يرقبها ، وقد هم أن يخف إليها يحمل عنها الصينية ، ولكنه ثاب إلى رشده ، وبقى فى مكانه ، وأحس أن والده بدأ ينظر إليه لما نهض حسين ليتناول من ابنته الصينيه ، فتظاهر أنه يغض من بصره فى حياء متكلف ، فابتسم أبوه ابتسامة عريضة فضحت فمه الخرب ، ورماه بنظرة لو ترجمت إلى ألفاظ ، لكانت « لا داعى للنفاق ، إنى أعرفك جيدا » .

ووضع حسين الصينية على منضدة صغيرة ، ثم حمل المنضدة وما عليها ووضعها أمام مصطفى علوان ، حتى كادت تلمس كرشه ، واختفت أحلام من عينى جلال ، ولكن سرعان ما عادت تحمل صينيه أخرى وانطلقت صوب غرفة الاستقبال .

واعتدل مصطفى فى مقعده ، وتأهب للخوض فى الحديث الذى جاءوا من أجله ، فنظر إلى جلال وهو يخفى موزة فى فمه ، وقال :

ــ أتكلم أنا واللا تتكلم انت .. ما هو شبان اليوم عنيهم مفتحه ؟

وضحك ضحكة طليقة ، ثم قال لحسين :

ــ أنا فاكر يوم ما رحت مع أبويا يوم كتب كتابى بقت سنانى تتكتك وركبى تخبط فى بعضها .

وابتسم حسين ابتسامة باهتة ، حزر ما جاءوا من أجله ، فراح يجمع شتات نفسه التى ذهبت شعاعا ، كان يخمن الدافع لهذه الزيارة المفاجئة ، وكان يعد نفسه لها ، ولكن ما إن سمع كلمة « كتب الكتاب » حتى اضطرب وانقشع أمنه ، وسرت فى صدره رهبة .

ومال مصطفى علوان نحو حسين وقال :

ــ جلال ده ابنى ، أنا اللى ربيته ، قدامى طيب مستقيم ، لكن من ورايا ما اعرفش ، مش عايز أغشك ، إذا وافقت على طلبه اسأل عليه .. طالب إيد أحلام .. أحلام دى بنتنا ، بنحبها كلنا ، بس إياك جلال يعجبكم ويكون له قسمة ..

فقال حسين فى صوت خافت مضطرب :

— ده شرف كبير لنا .

— أستغفر الله .. الجواز قسمه ونصيب .

وسمع وقع أقدام فى الخارج ، فالتفت حسين فألفى زوجته منطلقة فى تأثر ، فالتفت إلى مصطفى وقال :

— عن إذنك .

— اتفضل .

وذهبت الزوجة إلى غرفتها ، وانطلق حسين خلفها مهرولا ، ودلفا إلى الغرفة وإذا بحسين يرى فى المرآة زوجته مطرقة وفى عينيها الدموع ، وما إن أحست به حتى قالت فى صوت تخنقه العبرات :

— عارف جايين ليه ؟

— عارف ، جايين يخطبوا أحلام .

وانفجرت الزوجة بالبكاء ، فدنا منها يربت على كتفها ويقول :

— مسير البنت تكبر وتسيب بيت أبوها .. أنا عارف إنها ح توحشك .

فقالت وهى تشرق بدموعها :

— أنا مش بعيط على كده .

— أمال بتعيطى على إيه ؟

فقالت وقد استدارت وأخفت وجهها فى صدره :

— بعيط على إن بقى لى بنت تتجوز .

وضمها إليه فى حنان وقال :

ــ اطمنى ، مش ح تعجزى أبدا .

ومد يده ورفع ذقنها ، والتقت عيناه بعينيها ، وقال :

ــ ح تفضلى طول عمرك حلوه .

ثم قبلها قبلة هادئة وقال :

ــ امسحى دموعك وروحى للناس .

فقالت وهى تجفف دموعها بيديها :

ــ و ح تقول لهم إيه ؟

ــ ح اقول لهم : إدونى مهله أفكر .

وسارت زينب وهى تقول فى أسى :

ــ هيه .. كلها سنه والا اتنين وابقى جده .

وذهب حسين إلى غرفة المكتب ، وانسلت زينب إلى غرفة الاستقبال ، وما إن استقرت فى مقعدها حتى دوى صوت « بمب » أطفال ، وصوت زمارة .

واستيقظت نبيلة على الدوى ، وبكت هالة ، فنهضت نبيلة وحملتها ، وذهبت ثائرة إلى غرفة الاستقبال وهى تقول :

ــ كده خضيتوا البنت .

وتظاهرت بأنها فوجئت بوجود أم جلال ، فتأخرت خطوة ، وإذا بأم جلال تقول :

ــ خشى يا بنتى .. ما فيش حد غريب .

وتناولت الأم هالة ، وضمتها إلى صدرها ، وجلست نبيلة وتأهبت

لتطلق لسانها من عقاله وإذا بصوت ارتطام حذاء صغير بالباب يتتابع ، وإذا برنين الجرس يدوى متصلا ، فقالت الأم :

ـــ نبيله .. شوفى مين .

وقالت أحلام فى سذاجة :

ـــ ما فيش إلا سوسن وعاطف .. هى اللى تحط صباعها ع الجرس ما تشيلوش إلا لما يتفتح الباب ، وهو يفضل يضرب الباب بجزمته .

وفتحت نبيلة الباب ، فدخلت سوسن ترتدى قناعا على وجهها يتبعها عاطف ينفخ فى زمارة وقد تمددت مثانتها حتى بلغت نهاية تمددها ، فقالت له نبيلة :

ـــ بس بقى .. ح تطق .

فقال لها عاطف وهو ينفخ :

ـــ ما لكيش دعوه .

وضربت سوسن « بمبة » .

وأرادت نبيلة أن تبعدهما ، وإذا بسوسن تفلت منها ، وتذهب إلى غرفة الاستقبال .

رأتها أم جلال ، فقالت :

ـــ أهلا .. أهلا .. ما تشيلى الوش ده وورينا حلاوتك .

وهزت سوسن كتفيها ، وقد ثبتت عينيها على الموز والبرتقال والجاتوه ، وأرادت أمها أن تخرجها من الغرفة ، فقالت لها :

ـــ سوسن .. بره .

ـــ سيبيهم .. كلنا عندنا عيال .

وقبل أن تتحرك سوسن ، دخل عاطف وصوت زمارته يسبقه ونبيلة فى أثره ، فقالت الأم فى غيظ مكتوم :

ــ نبيلة .. خدى اخواتك من هنا .

فقالت أم جلال :

ــ سيبيهم .. كلنا عندنا عيال .

ورأى عاطف الصينية وما عليها ، فقال :

ــ موزة .. موزة ..

ودفعته أمه ، وإذا بمثانة الزمارة تنفجر ، فقال عاطف لأمه وهو يبكى :

ــ أنا مالى . إنتى اللى طقفتيها .. ما حدش ح يدفع تمنها غيرك ..

وارتفع صوته بالعويل ، فأقبل أبوه وقال وهو بعيد عن الغرفة :

ــ عاطف .. تعال .. تعال أجيب لك واحده تانيه .

وحملته نبيلة ، وذهبت به إلى أبيه وهو يتلوى بين يديها ، وأخذه أبوه فى رفق وراح يربت على ظهره ويقول له :

ــ بس . ح اجيب لك عروسه كبيره .

فقال عاطف وهو يمسح دموعه .

ــ لا .. أنا عايز أتومبيل .

وراحت الأم تنظر إلى نبيلة نظرات زجر لتنسجب ، ولكن نبيلة أعرضت عن نظراتها .

وقالت أم جلال :



ورأى عاطف الصينية وما عليها فقال : موزة .. موزة ..

ـــ أمال سامى فين ؟

فقالت أحلام :

ـــ راح السينما .

وقالت أم جلال :

ـــ عقبال ما يروح مع عروسته .

فقالت زينب :

ـــ تسلمى .

ونهضت أم جلال ، فقالت زينب :

ـــ ما بدرى .

ـــ بدرى من عمرك . ابقوا شرفونا .

وسلمت على الأم وعلى نبيلة ، وعلى سوسن ، ثم طبعت قبلة على خد أحلام .

وأسرعت أحلام تفتح الباب ، وسارت زينب وأم جلال وخلفهما نبيلة وسوسن .

ونهض جلال وأبوه وحسين، وانطلقوا صوب الباب ، وإذا بالجميع يتقابلون عند الباب لأول مرة ، وانتهزت أحلام هذه الفرصة ، فراحت ترنو إلى جلال فى حب وهو ينظر إليها مشرق الوجه مبتسما .

وجاء مراد ، وفى وجهه أثر شحم ، وقد اتسخت يداه ، وفى ساقه أثر تراب امتزج بعرقه ، وما إن رأته أمه حتى اربد وجهها ، وقالت فى ثورة :



ـــ غوله عملت فرح قالوا : ليله سعيده عليها وعلى أولادها

— مش قلت لك ما تركبش عجل .

فقال فى بساطة :

— ما ركبتش عجل .

— أمال إيه الوساخة دى !

— ركبت موتوسيكل .

وشق طريقه بينهم وانطلق .

وانصرف الضيوف ، بعد أن تصافح الجميع ، وضغط جلال على يد أحلام ضغطة خفيفة أحست أثرها فى قلبها الذى اشتد وجيبه ، وفى وجنتيها اللتين اشتعلتا نارا .

واتجهت نبيلة إلى غرفة الاستقبال وحملت الصينية ، وانطلقت أحلام إلى غرفة المكتب وعادت بالصينية الثانية، ووضعت الصينيتان على نضد بالمطبخ، وإذا بالأيدى تتخاطف ما بهما ، وقالت نبيلة ، وهى تمد يدها تأخذ قطعة جاتوه :

— غوله عملت فرح قالوا ليلة سعيدة عليها وعلى اولادها .

الفصل السادس

أتى المساء ، فنام عاطف كعادته على الأريكة فى الردهة ، وفى قدمه فردة حذاء ، وقدمه الأخرى عارية ، وأقبلت سوسن تتمطى ودنت من أمها وقالت :

ــ ماما .. ماما .. عايزه أنام .

ــ روحى نامى .

ــ حد يفرش لى السرير .

فقالت أحلام :

ــ تعالى .. أنا داخله أنام .

والتفتت أحلام إلى أمها وأبيها وقالت :

ــ اتمسوا بالخير .

وسارت حتى إذا بلغت الردهة ، حملت عاطفا لتضعه فى سريره .. وانطلقت إلى غرفة نوم الأولاد، فإذا بمراد قد نام ورجلاه مستندتان إلى الحائط ، ورأسه مدلى عند منتصف السرير فلم تلتفت إليه ، وتقدمت إلى سرير عاطف ، ووضعت حملها فيه فى رفق ، ثم ذهبت إلى غـرفتها وسوسن فى أثرها تردد فى صوت ممدود كله تكاسل :

ــ عايزه أنام .

وتقدمت أحلام من سرير سوسن وأصلحت وضع وسادتـه ، ورفعت الأغطية ، فأسرعت إليه سوسن وقبل أن تتمدد فيه قالت :

— غطينى .

وأحكمت أحلام وضع الأغطية حول سوسن ، ثم خلعت ثيابها واندست فى سريرها وقد أغمضت عينيها لترى بعين خيالها أحلامها البهيجة وأمانيها العذاب .

كان الزوجان يترقبان انصراف الأولاد ليتحدثا فى نجوى ، ويتشاورا فى أمر خطبة جلال لأحلام ، ولكن بقاء سامى ونبيلة فى الغرفة جعل صبر الأب ينفد ويقول لهما :

— انتوا مش داخلين تناموا ؟

فقال سامى :

— لأ . أنا ح اذاكر .

وقالت نبيلة وهى تنهض :

— إذا كنت ح تذاكر هنا ح اسيب لك الأوده واروح اقرا فى أودتنا .

فقال لها سامى :

— تعملى طيب .

وغادرت نبيلة الغرفة ، والتفت الزوج إلى زوجته وقال :

— الواحد وخمان النهارده ، ياللا نخش ننام .

ونهض ونهضت زوجته وسارا إلى غرفة نومهما.

ووصلت نبيلة إلى غرفتها ، فأضاءت النور ، وقطعت على أحلام حبل

أحلامها اللذيذة ، فقالت فى عصبية ، دون أن تفتح عينيها حتى لا تفر الرؤى العذاب :

ــ اطفى النور . خلينا ننام .

وراحت نبيلة تخلع ثيابها وترتدى بيجامتها ، وقالت فى هدوء :

ــ ما تنامى .

فقالت أحلام وهى تتقلب فى غضب :

ــ ما اعرفش أنام فى النور .

ــ وانا ما اعرفش اقرا فى الضلمه

ــ هو الواحد ما يعرفش يستريح فى البيت ده !

فقالت نبيلة وهى تتمدد فى السرير وفى يدها كتاب :

ــ هانت .. بكره تسيبيه وتستريحى منه على طول .

وتقلبت أحلام مرة ثانية فى حنق ، ثم جذبت غطاءها وأخفت به وجهها ، لتعيش فى الظلام تهيم فى دنيا جميلة من نسج خيالها .

ودخل الزوجان غرفتهما ، وأغلقا بابها عليهما ، واتجهت الزوجة إلى هالة ، وأحكمت الغطاء حولها وهى تقول لزوجها :

ــ عرفت ماهية جلال كام ؟

ــ قالوا خمسة وعشرين جنيه .

ــ وتفتكر خمسه وعشرين جنيه تفتح بيت اليومين دول ؟ ح يسكن بكام ويكسى بكام وياكل بكام ؟

وهز الزوج كتفيه ، و لم ينبس بكلمة ، وقالت الزوجة :

ــ قل لى : أبو جلال قال لك إيه ؟

ــ قال لى : إذا حصلت قسمة يجيبوا الشبكة ، ويقروا الفاتحة ويأخروا الكتاب للدخلة .

ــ اسمع أنا بنتى لازم يتعمل لها فرح ، أنا مش بقى لى تمنتاشر سنة متجوزه لكن مش قادرة انسى إنى دخلت ع السكت ، الحكاية دى عملت لى قرحة فى قلبى ، كل ما افتكرها انقبض وعينيه ترغرغ بالدموع . إيه اللى خلانا عملنا كده ؟ إزاى قبلت انك تيجى لوحدك تاخدنى زى اللى نكون عملنا عمله .. دخلنا شقتنا نتسحب زى الحراميه ، لا طقت زغروتة ولا انقادت شمعة .

واقترب منها وقال وهو يلف ذراعه حولها :

ــ ياما ناس اتعمل لهم أفراح ولا عمروش .

ــ لكن برضه الفرح حلو .

وقال لها وهو يضمها إليه :

ــ الستر والتوفيق أحسن .

وابتعدت عنه فى دلال وهى تقول :

ــ افتكرنا نفسنا وح ننسى البنت ، قول لى ما عرفتش إذا كان ح يسكن لوحده واللا ح يسكن مع ابوه ؟. أنا بنتى ما تسكنش مع حد أبدا .

ــ دى تفاصيل ما تكلمناش فيها ، مش لما نوافق ع الجواز قبله ؟

أتما خلع ثيابهما ، واتجها إلى السرير وتمددا فيه ، وقال الزوج وهو

يضع رأسه على ذراعه وينام على جنبه ، ووجهه فى وجه زوجته :

ـــ قبل ما نقول آه أولا لازم ناخد رأى أحلام .

ـــ ناخد رأيها فى إيه ؟

ـــ فى جلال . يمكن ما بتستظرفوش .

ـــ أحلام لسه صغيره إيش عرفها بالكلام ده .

ـــ أنا لما جيت أتجوزك مش خدوا رأيك ؟

ـــ قالوا لى إنك جاى تخطبنى ، قمت وديت وشى الناحيه التانية ، قال إيه مكسوفة ، والحقيقة إنى كنت فرحانة .. كل بنت بتفرح لما تتخطب ، بتحس إن بقى لها قيمة ، وإن فيه راجل بيطلبها . فرحت خالص مع إنك كنت غريب عنى ، ما كنتش أعرفك خالص ، كنت بالنسبة لى زى سر جميل .

ـــ وعرفتى السر ده إمتى ؟

ـــ بعد ما اتجوزنا . الحب ما يجيش الا م العشرة .

ـــ أمال اللى بيحبوا بعض قبل ما يجوزوا ؟

ـــ ده حب شيطانى . ما بيعمرش .

وقربت وجهها منه وقالت :

ـــ قولى لى بتحب فينا إيه ؟

ـــ باحب فيكم كل حاجة فيكم . كدبكم ، وزيطتكم ووجع الدماغ اللى بتسببوه لى ،تعرفى آخر مره سافرت فيها ، لما جه الليل ودخلت أودتى أنام حسيت إنى وحيد ، ما ليش حد فى الدنيا ، بقيت

أتلفت وأنا مقبوض ورغرغت عينى بالدموع ، اشتقت ساعتها لعياط هاله ، وسآلة سامى ، ولت نبيلة .

وشرد قليلا ثم قال :

ـــ الله احنا مالنا الليله دى بنفتكر نفسنا وننسى البنت .

الصبح لازم تسألى أحلام عن رأيها فى جلال .

ـــ ح أسألها وإن كنت واثقه انها ح تودى وشها الناحيه التانيه وتطاطى راسها .. يا ترى عيلة جلال شكلها إيه ؟

ـــ هى ح تتجوز جلال واللا ح تتجوز عيلته ، الرك عليه هو .

ـــ الرك ع الأصل برضه ، الأصيل ما يعبش .

ثم تنهدت وقالت :

ـــ بقى انا اللى كنت بالعب أول امبارح فى الحاره بقى لى بنت تتجوز !

ـــ ما شفتكيش وانتى بتلعبى فى الحاره ، شفتك شابه حلوه .

ـــ هو انت لحقت تشوفنى ، كنت مستعجل قوى ، ما لحقت خطبتنى ما لحقت دخلت عليه .

ـــ فاكره ليلة الدخله لما لقينا نفسنا فى الشقه لوحدنا ؟

ومدت يدها تطفىء النور ، وهى تضحك ضحكة خافتة وتقول :

ـــ والنبى ما تفكرنيش ، دا احنا كنا عبطه قوى .

وامتزجت ضحكاتهما الخافتة ، ونسيا ابنتهما وراحا يفكران فى نفسيهما بكل حواسهما .

وانقضى الليل بأسراره ، ودبت الحياة فى الشقة ، فإذا بملابس النوم تلقى هنا وهناك ، وإذا بشجار وصياح وعويل وبكاء ، وإذا بأياد تمتد إلى الصحاف ولا ترتفع إلا بعد أن تصبح خاوية .

وخرج الأب والأولاد و لم يبق فى الشقة إلا أحلام وهالة وأمهما .

راحت أحلام تلتقط الثياب المبعثرة ، وتملأ القلل ، وتعيد تنسيق المكان ، بينا كانت الأم تغسل ثياب هالة وجوارب الأولاد ومناديلهم .

ونادت الأم :

ــ أحلام . تعالى خدى الغسيل ده انشريه عندك .

وذهبت أحلام إلى الحمام ، ودنت من أمها ، فإذا بالأم تقول لها وهى تتظاهر بالانهماك فى عصر ثوب من ثياب هالة :

ــ عارفه إن جلال جه يخطبك امبارح ؟

ونظرت إلى ابنتها من طرف عينيها لتراها وهى تشيح بوجهها خجلا ، ولكن أحلام قالت فى هدوء :

ــ عارفه .

و لم تجد الأم مبررا لتتظاهر بالانشغال عن ابنتها لتخفف من حدة خجلها ، فما عادت البنات يخجلن من ذكر الزواج والخوض فى أحاديثه فوضعت الثوب على الصنبور ، وأسندت كفها على الحوض وقالت :

ــ وعارفه إنه بياخد خمسه وعشرين جنيه ؟

ــ عارفه .

ــ وتفتكرى الخمسه وعشرين جنيه يكفوكو ؟

فقالت أحلام فى حماسة :

ـــ يا ماما لازم نبتدى من أول السلم ، نكافح سوا ، ويكون لنا هدف واحد ، نبتدى صغيرين ونكبر مع بعض ، عشان لما نعجز تكون لنا ذكريات مشتركة نعيش عليها ، انتى نسيتى يا ماما بابا كانت ماهيته كم لما اتجوزتو ؟

ـــ كانت ماهيته اتناشر جنيه ، لكن كانت أيام غير دى ، كانت أجره الشقه اتنين جنيه ، ورطل اللحمة الضانى كان بتلاته ونص .

ـــ يا ماما احنا اتنين ، ح ناكل إيه ولا ح نشرب إيه ؟

ـــ النهارده اتنين بكره ح تزيدوا .

ـــ وكان ماهيتنا ح تزيد ، ومش ح نعمل زيكو ، ح نخلف واحد أو اتنين بالكتير .

ـــ كان غيركم أشطر .

واقتربت أحلام من أمها وقالت :

ـــ قولى لى : إيه هى أسعد أيامكم ؟ مش أيام جوازكم الأولى والأيام اللى اتولدت فيها واللى اتولدت فيها نبيله وسامى ومراد وسوسن وعاطف ؟ دانا فاكره يوم ما اتولدت هاله ، كان بابا فرحان ، إحنا لما اتولدنا كنا عبء جديد عليكم ، وبرضه فرحتوا بينا ، مش كل الأعباء تزعل ، في أعباء لذيذة الواحد يتحملها وهو مبسوط ، أنا أفتكر إن متاعب الكفاح من الأعباء اللذيذة . لما تزرعى شجره وتتعبى فى زرعها مش بتنسى كل تعبك لما تشوفيها كبيره ، كان الزوجه بترعى جوزها

وبتتعب عشانه وبتحرم نفسها من كتير ، عشان توفر له الراحه ، وتهيأ له الفرصة اللى يكبر فيها ، لغاية ما تشوفه كبير ، وساعتها تنسى كل تعبها .

ونظرت أمها إليها فى دهش ، وهى صامتة ، لم يدر بخلدها أن أحلام ابنتها الطفلة ، التى كانت تحسب حتى الساعة أنها لا تفهم عن الحياة شيئا ، تتحمس لخطبتها كل ذلك الحماس ، كانت تظن أنها ستدير وجهها حياء ، حتى إذا ما ألحت عليها فى استطلاع رأيها قالت فى صوت متهدج : (البركة فيكم . اعملوا اللى تشوفوه) .

ورأت الأم من الحكمة أن تساير ابنتها فى عواطفها ، وألا تحاول تبصيرها بمستقبلها ، فقد أحست ضآلة نفسها بعد أن سمعت آراء ابنة الأمس ، فقالت :

— يا بنتى احنا كل اللى عايزينه سعادتك ، وإن ربنا يهدى سركم .

والتفتت الأم صوب السماء وقالت :

— يا رب اجعل أيامهم أحسن من أيامنا .

فقالت أحلام وهى تبتسم :

— واللا زيها .

— واللا زيها يا بنتى . والله أيامنا ما كانت وحشه .

وأخذت أحلام الغسيل وغادرت الحمام لتنشره ، والأم تنظر إليها فى إعجاب وعجب .

وراح الوقت يمر ، وعاد الأولاد من مدارسهم ، وبدأت متاعب

الغداء ، وارتفعت الأصوات ، وأقبل الزوج ، واتجه إلى غرفته ، وأسرعت زوجته إليه ، فقال لها وهو يخلع جاكتته :

ــ هيه . كلمتى أحلام ؟

ــ كلمتها .

ــ موافقة على جوازه ؟

ــ موافقه بس ! دا لو جاب محامى ماكنشى اتكلم له زى ما تكلمت له .

ــ قالت لك إيه ؟

فقالت وقد التمعت عيناها ببريق الإعجاب :

ــ قالت كلام ما عرفش اقوله أنا يا للى متجوزة بقى لى تمنتاشر سنة .

ثم مصمصت بشفتيها وقالت :

ــ بنات آخر زمن .

الفصل السابع

وقفت أحلام أمام المرآة تديم النظر إلى وجهها ، ثم ترفع يدها وتصلح الشعرات المبعثرة على جبينها ، واقتربت نبيلة منها ومررت يدها على ظهرها لتذهب التقلصات التى كانت بثوبها ، ونظرت إلى ساقيها مليا ، فالتفتت إليها أحلام وقالت وهى تبتسم :

ـــ إيه ، خط الشراب مش عدل ؟

فقالت نبيلة وهى تضحك :

ـــ فين الشراب ده ، هو انتى لسه لبستيه ؟

ورفعت أحلام ثوبها ، والتفتت بنصفها الأعلى ، لترى بطن ساقها وقالت :

ـــ ما اهه .. بصى عدل .

فازداد ضحكُ نبيلة ، وقالت :

ـــ ح تستعمينى ، وانا نظرى سته على سته ؟

وصكت ضحكات نبيلة أذن سامى ، فخرج من غرفته ، وهو عارى الصدر ، يرتدى بنطلونا قصيرا وجوربا وفردة حذاء ، وفى يده الفردة الثانية وقال :

ـــ إيه الضحك ده ، زمان جلال طالع ، يقول علينا إيه ؟

فقالت نبيلة وهى تشيح بوجهها عنه :

ــ إيه . ما نضحكش ؟!

ــ لأ ما تضحكيش .

ــ هو حكم قراقوش ده ، واللا إيه ؟

ــ أيوه حكم قراقوش .

ــ اسمع . انت ما لكش دعوة بيه . انت مش ولى أمرى .

ــ لازم تعرفى إنى أنا مسئول عنك .

كانت الأم ترقب زوجها وهو يرتدى ثيابه ، فقالت له همسا :

ــ يا راجل اخرج لهم خليك حمش .

وخرج الأب لهم وقال فى صوت خافت :

ــ ما بس . زمان جلال طالع .

فقالت نبيلة فى عصبية :

ــ خليه يسكت عنى ، مالوش دعوه بيه ، دا مش عايزنى أضحك .. مش عايزنى اتكلم .. مش عايزنى اتنفس .. يعنى أموت يعني ؟

فقال سامى :

ــ يا بابا مش سامعها بتضحك ازاى ؟

ــ يا بابا دا عامل نقره من نقرى .

ووقف الأب حائرا بينهما ، فأسرعت الأم لتضع حدا لهذا النزاع فصاحت :

— خللى عندك دم انت وهى ، ياللا كل واحد منكم على أودته ، مش عايزه أسمع حس حد فيكم .

وانسحب سامى إلى غرفته ، ودخلت نبيلة إلى غرفتها ، فإذا بأحلام فى شغل عنهم جميعا بتنسيق وضع الشيكولاتة على الصينية ، كان همها إرضاء جلال .

ولمحت الأم مرادا وهو مقبل من أقصى الشقة ، وقد اتسخت ملابسه ، وتلوثت يداه بالحبر ، فصاحت فيه :

— مراد . خش اشطف والبس هدوم نظيفه ، زمان جلال طالع .

فقال فى بساطة :

— وانا مالى ومال جلال ؟!

— لما يشوفك وسخ كده يقول إيه ؟

— يقول اللى يقوله ، هو جاى عشانى ؟

ونظر من خلال الباب فرأى أحلام ، فقال :

— اللى جاى عشانهم يتزوقوا له .

فصاحت الأم فيه :

— خش اشطف بلاش قلة أدب .

وأسرع مراد إلى الحمام ، واتجهت الأم إلى زوجها ، وقالت :

— كلمه بصراحه .. اسأله إذا كان ح يسكن لوحده واللا ح يسكن مع أمه ، إذا كان ح يسكن مع أمه ماتوافقش ، إحنا لسه على البر ، واللا ح تتكسف زى عوايدك ؟

فقال وهو يدس رجله فى الحذاء :

ــ أكسف ازاى !

ــ آه . دى بنتنا ولازم نريحها .

وصمتت قليلا ثم قالت :

ــ تعرف يا حسين أنا يوم ما اتخطبت قلبى ما دقش زى النهارده . أنا مش عارفه مالى موهومه كده .. بخايفه .. إلا يا حسين سألت عليه كويس ؟

ــ كل اللى سألتهم عنه قالوا إنه ابن جلال .

وسمع ارتطام حذاء بالباب الخارجى ، فصاحت الأم :

ــ نبيله ، افتحى لاخوكى .

وأسرعت نبيلة إلى الباب وفتحته ، وإذا بعاطف يدخل منفوش الشعر ، فى وجهه آثار عرق ممزوج بالتراب ، وقد حمل فى يده فردة حذاء وتدلى بنطلونه فبدت الفانلة من تحت قميصه القصير ، فصاحت نبيلة فيه وهى تجذبه من يده :

ــ إيه الوساخه دى . تعالى .

وانطلقت به صوب الحمام وقالت لمراد :

ــ اغسله وشه وايديه معاك .

وتركته ، فانسل مسرعا إلى حيث أمه ، فقالت له :

ــ روح اغسل وشك وتعال عشان ألبسك البدله الجديده .

فقال عاطف وهو يهز كتفه :

ــ قبله هاتى قرش .

ــ بعد ما تغسل وشك وتنضف ح اديك قرش .

ودق جرس الباب الخارجى ، فقالت الأم :

ــ سامى افتح . جلال جه .

لكن رنين الجرس ظل متواصلا ، فقال سامى :

ــ دى سوسن .

ــ طب روح افتح لها .

وقال الأب وهو يرتدى جاكتته وينظر إلى هندامه فى المرآة :

ــ الشيكولاته والملبس اللى اشتريتهم فين ؟

فقالت الأم :

ــ مع أحلام .

وأقبلت سوسن ، وفى يدها قطعة من كعكة عيد ميلاد واتجهت إلى أبيها وقالت وهى تتمسح به :

ــ بابا اشمعنى جيرانا كلهم بيعملوا لأولادهم عيد ميلاد ، واحنا ما بنعملش ؟

ومرر أبوها يده على شعرها فى حنان وقال :

ــ عايزه تعملى حفلة عيد ميلاد ليه ؟ عشان تاكلى جاتوه وشيكولاتة ؟ أجيب لك جاتوه وشيكولاته .

ــ لأ يا بابا . أنا مش عايزه أعمل عيد ميلاد عشان آكل جاتوه وشيكولاته ، عشان أعزم أصحابى اللى بيعزمونى ، عشان يفرحوا

ويهيصوا معايا ، زى ما بفرح واهيص معاهم . النهارده بقيت قاعده معاهم مكسوفه ، لأنى عارفه إنى مش ح اجيبهم فى عيد ميلادى ، لأنى ما ليش عيد ميلاد .

واكتسى وجه الأب بسحابة من الحزن ، وظل صامتا يغالب مشاعره ، تحرك الحنان فى صدره فكاد يضعف ويعد ابنته بحفلة عيد ميلادها ، وإن كلفه ذلك ما لا يطيق ، وإذا بزوجه تجذب سوسن من يدها فى رفق ، وتقول لها فى صوت فيه رنة أسى وحزن ، وإن جاهدت أن ينبعث طبيعيا ، لا يشوبه ذلك الكدر الذى حركه حرمان ابنتها من أمنية عزيزة من أمانيها :

ـــ اسمعى يا سوسن ، اللى بيعملوا حفلات عيد ميلاد أولادهم بيكون عندهم ولد اتنين مش زينا ، احنا لو عملنا « عيد ميلاد » ح نعمل حفله كل شهر .

وتسرب ذلك الحديث إلى آذان الأولاد ، فأقبل سامى ونبيلة وأحلام ومراد وعاطف ووقفوا عند باب الغرفة يصغون ، وكأنما شاءت هالة أن تعلن عن وجودها فراحت تعبث فى أصابع رجلها وهى مستلقية فى سريرها ، تصيح صيحات متتابعة .

وانبرت نبيلة تشد أزر أختها قالت :

ـــ بلاش نعمل لكل واحد فينا عيد ميلاد ، نعمل عيد ميلاد واحد لنا كلنا .

فقالت الأم :

ــ ونختار تاريخ الحفله دى ازاى ؟

فقال سامى وهو يشمخ بأنفه :

ــ تتعمل فى عيد ميلادى أنا ، لأنى أنا أكبر ..

ولم تتركه نبيلة يتم جملته ، وقالت مقاطعة :

ــ ليه الأنانيه دى ؟

وقالت الأم منتهزة هذه الفرصة لتتخلص من هذه الورطة .

ــ ح تتخنقوا ! ياللا كل واحد فيكم على أودته .

وقالت أحلام فى هدوء :

ــ ولا خناق ولا حاجه . نعمل الحفله دى فى عيد ميلاد بابا .

وصاح الأولاد كلهم موافقين :

ــ أيوه عيد ميلاد بابا .

واندفعوا إليه يلتفون حوله ، وأمسكت سوسن ببنطلونه وصاح مراد :

ــ يحيا بابا .

ودق جرس الباب ، فقال الأب :

ــ جلال جه . ياللا يا سامى افتح له ودخله أودة الاستقبال .

وخرج سامى ، وانسلت أحلام ونبيلة من الغرفة ، وقالت الأم لمراد :

ــ ياللا روح اقلع هدومك اللى زى الزفت دى ، يا نبيله خدى عاطف لبسيه .

وعادت نبيلة وتناولت يد عاطف وخرجت به ، وأسرعت سوسن لتنظر إلى جلال من بعد ، وبقى الزوجان وحدهما فى الغرفة ، فقالت الأم فى مرارة :

— طبعا يحبوك ويكرهونى أنا . ما انت دايما تصدرنى لهم . أنا اللى أقول ما فيش فساتين .. ما فيش بدل .. ما فيش جزم .. ما فيش خروج .. ما فيش فلوس .. إزاى يحبونى .. أنا من بعد النهارده ما ليش دعوه بأولادك . انت اللى تربيهم :

فاقترب منها وقال :

— إنتى زعلتى ؟! أهم ولادى وولادك .. دول ما يقصدوش .

— دى مش أول مره . دول بيعاملونى زى ما اكون مرات أبوهم .

فقال وهو يبتسم :

— ولا يهمك . كفايه انك تكونى أمى أنا .

وأسرع عاطف ، بعد أن ارتدى ثيابا جديدة ، إلى غرفة الاستقبال ، ووقف ببابها بالقرب من سوسن ينظر .

كان جلال جالسا فى المقعد المواجه للباب ، وكان سامى إلى جواره ، وقد ساد الصمت بينهما . ولمح جلال عاطف ، فقال له وهو يهم لاستقباله :

— تعال .

فقال عاطف وهو يهز كتفه :

— لأ ..

— تعال عشان أديك حاجه حلوه .

فقال عاطف وهو يتقدم :

— هات قرش قبله .

واربد وجه سامى وصاح فى عاطف :

— ح اقطم رقبتك .

وقال جلال :

— سيبه .

وانطلقت سوسن كالعاصفة إلى حيث كان والدها وقالت :

— ماما .. ماما .. إلحقى . عاطف بيشحت من جلال قرش .

فقالت الأم فى عصبية :

— امشى هاتيه ، هى العيال دى ما تسترش أبدا .

ومد الزوج يده إلى عقدة الكرافتة وأصلحها ، ثم سار إلى غرفة الاستقبال ، وزوجته توصيه :

— ما تنكسفش .. إذا كان ح يسكن مع أمه الله الغنى عن دى جوازه .

ودخل الأب الغرفة ، فنهض جلال لاستقباله ، وتصافحا ، وانسل سامى من الغرفة وراح يبعد إخوته عنها ، فيسمع الأب وجلال همهمتهم ، فيرفع الأب صوته بالترحيب ليغطى الضوضاء المنبعثة من الخارج :

— أهلا وسهلا . إزاى والدك ؟

ـــ بخير والحمد لله .

واعتدل الأب فى جلسته ، وراح يجمع شتات نفسه ، فقد كان مقبلا على حديث خطير ، قال :

ـــ أنا كل اللى سألتهم عنك قالوا إنك طيب وابن حلال ، وأنا يابنى يشرفنى إنى أدى لك بنتى ، بس أحب أقول لك إن العيشه اليومين دول صعبه ، كل حاجه غاليه ، فكرت ح تسكن بكام وح تعيش ازاى ؟ أيام أنا ما اتجوزت سكنت باتنين جنيه ونص ، وكل اللى كنت باصرفه على البيت تلاته جنيه ، كنت عايش بالمبلغ ده عيشة أمرا .. كنت باكل تفاح وموز وفراخ وحمام ، وبالبس حرير وصوف إنجليزى ، أفصل كل ست اشهر بدله جديده .. كان القسط اللى بدفعه للترزى خمسين قرش .

وسمع طرق خفيف على الباب ، فالتفت الأب فرأى أحلام وبين يديها الصينية ، عليها صحاف من بلور ، نسقت فيها الشيكولاتة والملبس والجاتوه ،فنهض ليأخذ منها الصينية ، فإذا به يرى أبناءه جميعا قد اصطفوا خلف أحلام ، كانوا أشبه بالقطط التى جاءت على رائحة السمك .

وضع الأب الصينية أمام جلال وقال :

ـــ اتفضل ..

ومد جلال يده وتناول قطعة شيكولاتة ، بينا راحت أحلام تبعد أخواتها عن الغرفة فى رفق وتحول بينهم وبين الهجوم على الصينية المشتهاة .

ووجد جلال الفرصة سانحة ليتحدث ، فقال :

ـــ حكاية الشقه فرجت .



كانت فرصة ذهبية أن ينفردوا بالشيكولاتة والملبس والجاتوه

— إزاى ؟

— بابا اتنقل المنصوره ، ح ياخذ ماما معاه ، وح يسيب لى الشقه .

وأحس الأب راحة ، فقال وهو يزفر فى اطمئنان :

— عال .

— أما الأكل واللبس ..

فقاطعه الأب قائلا :

— الحاجات دى كلها مقدور عليها .

ونهض الأب مستأذنا ، وأسرع إلى زوجته يزف إليها النبأ ، ويطمئنها أن ابنتها لن تعيش مع حماتها تحت سقف واحد .

واستطاع عاطف أن ينسل فى غفلة من الجميع إلى غرفة الاستقبال ، وأن يذهب مباشرة إلى الصينية ، وأن يغتنم الفرصة لينفرد بما فيها وحده ، وجلال يعاونه على فض أغلفة الشيكولاتة ، وفطنت سوسن إلى غياب عاطف ، وإلى تسربه إلى غرفة الاستقبال ، فخفت تشاركه الغنيمة . وأراد الأب أن يعلن بطريقة عملية أن جلالا قد صار فردا من الأسرة فأذن لأولاده جميعا أن يشاركوه جلسته .

وأقبل الجميع يسلمون عليه ، ودخلت الأم وصافحته فى شوق ، وما أن جلس الأولاد حتى رأوا فتك عاطف وسوسن بالشيكولاتة ، فخف كل منهم إلى الصينية ليأخذ نصيبه .

وجاءت أحلام ، ومدت يدها إلى جلال ، فإذا به يضغط على يدها فى حب ، والتقت عيونهما لحظة ، كان لها فى نفسيهما وقع السحر ،

واتجهت إلى كرسى قبالته وجلست ، فشاع فى المكان جو عجيب من الحب والهيام ، ما كان يعكره إلا الأيدى الممتدة إلى الصينية فى تتابع ، ونظرات الزجر التى كانت تسددها الأم إلى أبنائها ، والتى كانوا يشيحون بوجوههم عنها ، كانت فرصة ذهبية أن ينفردوا بالشيكولاتة والملبس والجاتوه ، وأن يلتهموا ما يشاءون كما يشتهون تحت بصر أمهم وسمعها ، دون أن تقدر على زجرهم ، فرصة قلما يجود الزمان بمثلها !.

الفصل الثامن

أراد جلال أن يعلن أصهاره أن فى أسرته من يمتلك سيارة ، فدعا شفيق ابن خاله ليذهب معه فى اليوم المحدد لقراءة الفاتحة ، ودفع المهر والاتفاق على يوم الزفاف .

ووقفت السيارة أمام بيت حسين ، وهبط منها جلال وأمه وأبوه وشفيق ، كان شفيق شابا فى الرابعة والعشرين ، طويل القامة ، عريض المنكبين ، خفيف الظل ، من ذلك الطراز الذى تهفو إليه القلوب من أول نظرة .

وكان عاطف وسوسن واقفين عند باب البيت ، فلما رأى عاطف جلالا ، أسرع يحييه ، فمد له يده مصافحا وقال :

ــ أهلا صاحبى ، انت جيت ؟

ورفعه جلال بين ذراعيه وقال له وهو يقبله :

ــ أهلا عاطف ، ازيك .

ووضعه على الأرض ، فرفع رأسه وقال :

ــ هات قرش بقى .

فوضع جلال يده فى جيبه وأخرج قرشا ، ووضعه فى كفه ، فقالت سوسن كأنما تعلن عن وجودها :

ــ اخص يا عاطف ، ح اقول لماما .

فقال لها عاطف :

ــ وانتى مالك ؟

ــ يا شحات .

ومد جلال يده فى جيبه وأخرج قرشا آخر وأعطاه لسوسن ، فتمنعت تمنع الراغب ، ثم أخذت القرش فى خفة ، وقالت لعاطف :

ــ تعال لما اشترى لك حاجه .

وابتعدا وجلال ينظر إليهما وهو فى طريقه إلى البيت ، وقد وسع خطاه ليلحق بأهله الذين سبقوه إلى السلم .

ودق الجرس ، فإذا بحسين يفتح الباب فى سرعة ، فقد كان يرصد مقدمهم ، ورحب بهم وقدم مصطفى علوان شفيقا إلى حسين ، وجلسوا يتبادلون عبارات الترحيب ورائحة البصل المحمر فى السمن تملأ أنوفهم .

كان المطبخ على قدم وساق ، أحلام تغرف الطبيخ فى الصحاف ، والأم تحمر الدجاج ، ونبيلة وسامى ومراد يغدون ويروحون بين المطبخ والسفرة يحملون الصحاف والخبز والماء المثلج .

وقالت الأم :

ــ روحى انتى يا أحلام غيرى هدومك .

فقالت نبيلة ، وهى تجفف يديها فى « الفوطة » التى كانت ترتديها فوق ثوبها :

ــ واشمعنى أحلام ، ما اروح أنا رخره أغير هدومى .

فقال سامى متحديا ومتأهبا للشجار :

ــ هو ما فيش حد بيعمل حاجه ، إلا لازم تعملى زيه ، ما تقولى لازم أتجوز أنا رخره .

ــ وانت حاشر نفسك فى كل حاجه ليه يا بايخ ؟.

فقالت الأم :

ــ هس .. انكتموا وخللو عندكم دم ، الناس جوه . ياللا غوروا كلكم من وشى . مش عايزه حد منكم هنا .

وانسلوا من المطبخ ، وراحوا يرتدون ملابسهم . كأنما كانوا فى سباق ، وخرج سامى من غرفته يرتدى الحذاء والقميص والجاكتة ، وهو يهرول صوب غرفة الاستقبال ، وإذا بعاطف يضحك ضحكات عالية ، وأطلت أحلام ونبيلة برأسيهما ، ومراد يقول :

ــ سامى ح يقابل الناس من غير بنطلون .

ونظر سامى إلى ساقيه العاريتين ، ثم عاد مهرولا إلى غرفته ، فقالت له نبيلة وهى ترمقه فى زراية :

ــ بلاش خفافة والنبى .

وأتمت أحلام ارتداء ملابسها وتقدمت فى تؤدة إلى غرفة الاستقبال ، وما إن لمحها مصطفى علوان حتى قال مرحبا :

ــ أهلا .. أهلا بعروستنا .

ونهضوا جميعا لاستقبالها ، وصافحتهم واحدا واحدا ثم استدارت

لتجلس فى كرسى بعيد ، فقال شفيق وهو يفسح لها مكانا إلى جوار جلال :

ــ ح تروحى فين ، محلك بقى هنا .. جنبه .

وأطرقت رأسها حياء ، ثم اتجهت إلى الكرسى المجاور لكرسى جلال وجلست .

وجاءت نبيلة فى خطوات راقصة ، وتقدمت ثابتة الخطو وسامى ومراد خلفها ، وقالت وهى ترفع يدها إلى رأسها بالتحية :

ــ السلام عليكم .

ورد الجميع :

ــ وعليكم السلام ..

واتجهت إلى مقعد مواجه لمقعد شفيق وجلست ، وقعد بالقرب منها سامى ومراد .

ولاحظت أم جلال أن نبيلة تطيل النظر إلى شفيق فى استغراب ، فقالت :

ــ شفيق ابن خال جلال ، كانوا سوا فى المدرسة ، انتقلوا مع بعض من فصل لفصل ، لغاية ما خلصوا الجامعة سوا .

وأقبلت زينب وصافحت الجميع ، وما إن استقرت فى مقعدها ، حتى أخرج جلال من جيبه علبة صغيرة من المخمل الأحمر ، وفتحها وتناول منها دبلة راح يضعها فى أصبع أحلام ، وقد أطرقت خجلا ، وإن كانت كل خالجة فيها تنطق بالفرح .

وقال له شفيق :

— جيلك . مالك مستعجل كده ؟

فقال والد جلال :

— خير البر عاجله .

والتفتت أم جلال إلى زينب وقالت :

— ما فيش حد يعرف يزغرط ؟

و لم تنبس زينب بكلمة ، كانت الدموع تترقرق فى مآقيها ، وأحست أن الأنظار ستتجه إليها ، فنهضت وقالت :

— اتفضلوا .

وقام الجميع ، وقال شفيق وهو يفسح الطريق لأحلام وجلال :

— العريس والعروسه الأول .

فقال جلال لوالده ووالد أحلام ، وهو يشير بيده :

— اتفضلوا .

فقال مصطفى علوان وهو يبتسم :

— انتم الأول النهارده — دا احنا ما جيناش إلا عشانكو .

وتقدم جلال وأحلام ، ثم سار الجميع خلفهم ، ومراد يشق طريقه بينهم ، والتفت شفيق ، فإذا بنبيلة تسير إلى جواره جنبا إلى جنب ، فرفت على شفتيه بسمه رقيقة .

وجلسوا حاول المائدة ، جلال وإلى جواره أحلام وإلى جوارها والدة جلال ، ثم نبيلة فسامى ، وجلس مصطفى علوان فى صدر المائدة ،

وجلس حسين أمام جلال وإلى جواره زوجته ثم شفيق ومراد .

ومدت أم جلال يدها ، ورفعت الأطباق من أمام أحلام وقالت :

ــ النهارده تاكلى انتى وجلال فى طبق واحد ، عشان ما تفترقوش عن بعض أبدا .

وأطرقت أحلام حياء ، وقالت أم جلال لابنها :

ــ اقطع لقمه وغمسها فى الملح وكلوها سوا ، عشان يبقى بينكو عيش وملح .

وابتسم جلال ، وبقى مترددا برهة ، فقال شفيق مشجعا :

ــ يللا يا جلال ياللا .

وتناول جلال لقمة خبز غمسها فى الملح ، ثم قسمها جزأين ، وغيب جزءا فى فمه ومد يده بالجزء الآخر إلى فم أحلام فالتقمته وقد تضرج وجهها بلون الدم ، والتقت عينا شفيق بعينى نبيلة ، فإذا بها تنفجر ضاحكة ، فسددت إليها أمها نظرة زجر قاسية .

وقال حسين وهو يشير بيده إلى الطعام المكدس على المائدة :

ــ اتفضلوا .

وقال شفيق وهو يغرف الحساء بالمغرفة :

ــ ياما حضرت خطوبات كتير ، وكتب كتاب وأفراح ، ماشفتش حكاية العيش والملح دى ولا الأكل فى طبق واحد .

فقال حسين وهو يتبسم :

ــ اللى يعيش ياما يشوف .

فقال مصطفى وهو يضحك :

ـــ مهما عاش مش ح يشوف اللى شفته .

والتفت إلى زوجته وقال مداعبا :

ـــ الست دى ياما ورتنى ، ورتنى كتير .

ورمقته زوجته من طرف عينيها وقالت :

ـــ يا راجل عيب .

ـــ هو انا قلت حاجه ! أنا قلت إنك ورتينى كتير ، لكن ما قلتش ورتينى إيه ، يمكن ورتينى حاجات حلوه كتير .

وشاع السرور ، وتوجت الابتسامات الشفاه ، وراح جلال وأحلام يتناولان طعامهما فى طبق واحد ، وتعمد جلال أن تمس يده يد أحلام ، والتقت عيونهما أكثر من مرة فى لمحات كانت أفصح من حديث طويل .

وانتهز مراد فرصة انشغال الجميع فى الحديث ، فترك الشوكة والسكين وراح يعالج قطعة الدجاج بيده .

وعلى حين فجأة ارتفع بكاء هالة ، فوقف فم أمها عن الحركة ، وقطبت جبينها ، ثم التفتت إلى نبيلة وقالت :

ـــ هاتى أختك .

ونهضت نبيلة وغادرت المائدة ، وصوت هالة يدوى فى المكان ، وأراد مصطفى أن يزيل ذلك الحرج البادى على وجه أمها وأبيها فقال :

ـــ عقبال ما نفرح بيك يا شفيق .

فقال شفيق وهو يدس ورك دجاجة فى فمه :

ـــ قريب إن شاء الله .

فقالت له أم جلال :

ـــ ما كنت بتقول مش ح تتجوز أبدا .

فقال حسين :

ـــ الجواز نص الدين .

فقال شفيق مبتسما :

ـــ دا النص الحلو فيه .

وعادت نبيلة تحمل هالة ودفعت بها إلى أمها ، فأجلستها على فخذها ، وراحت هالة تعبث بكل ما تصل إليه يدها ، عبثت بالشوكة مرة ، وبالسكين مرة أخرى ، ثم وضعت كفها فى طبق به ملوخية ، ورفعته ومررته على وجه أمها ، وتحملت الأم مضايقات ابنتها فى صبر ، وإن كان الحنق يكاد يمزق صدرها .

وانتهوا من تناول طعامهم ، فغادروا المائدة وعادوا إلى غرفة الاستقبال إلا مصطفى وحسينا اتجها إلى المكتب .

وأخرج مصطفى من جيبه رزمة أوراق مالية ، ودفع بها إلى حسين ، وهو يقول :

ـــ الشقه بعد أسبوعين ح تكون فاضيه ، اللى تشتروه تقدروا تبعتوه على هناك على طول .

فقال حسين وهو مأخوذ :

ـــ إن شاء الله .

ـــ ربنا يتمم بخير .

ولاحظ مصطفى أن حسينا يعانى ذلك القلق الذى يحسه المقدم على مغامرة ، فقال له ليرفه عنه :

ـــ دا كل شيء قسمه ونصيب ، أنا ربنا رزقنى بالست بتاعتى كانت سبب سعدى ، فهمتها وعرفت بركتها فين ، ماكنتش أعمل حاجه إلا لما آخد رأيها فيها ، وإن قالت يمين أنا أعمل شمال ، أعمل عكس رأيها على طول ألاقى الحاجه مشيت وبقت عال .. ده توفيق كبير .. رضا .

وابتسم حسين وقال :

ـــ إن اتزنقنا فى حاجه نبقى ناخد رأيها .

ـــ خلاص بقى بقينا أهل ، وادى انت عرفت السر .

ونهض مصطفى وقال :

ـــ بللا نقعد مع الأولاد .

واتجها إلى غرفة الاستقبال ، ودخل مراد إلى الشرفة ينظر ، فرأى عاطفا وسوسن يعبثان فى سيارة شفيق ، ويفرغان الهواء من إحدى العجلات ، فأسرع إلى أبيه وقال له هامسا .

ـــ عاطف وسوسن فسوا عجلة الأوتومبيل.

فأشار الأب برأسه إلى سامى أن يتبعه ، وخرج من الغرفة ومراد معه ، فإذا بسامى ينهض ويتجه إليهما ، وقال الأب :

ـــ العفاريت فسوا عجلة الأوتومبيل ، لازم تنفخها بأى طريقه .

فقال سامى :

ـ آخد مفاتيح العربيه من شفيق واشوف عنده منفاخ ، وأنفخها .

فقال الأب لسامى :

ـ أنا عايزك تنفخها من غير ما يعرفوا .

فقال سامى :

ـ ح انفخها ببقى !

وقال مراد :

ـ أنا اروح للعجلاتى . وح اخليه يجيب منفاخه وييجى ينفخها .

والتفت الأب إلى سامى وقال له :

ـ هو انت ما تعرفش تتصرف أبدا ؟

وهرول مراد منصرفا ، وعاد الأب وسامى خلفه شامخا بأنفه ، وما إن لمحته الأم حتى نادت :

ـ سامى ، تعال .

ودنا منها ، فقالت له هامسة :

ـ خد نبيلة وروحوا شيلوا الأطباق والحاجه من على الترابيزه .

والتفت ناحية نبيلة ، فألفاها تتحدث مع شفيق وجلال وتضحك ، فرآها فرصة سانحة ليعكر صفوها فقال بصوت عال :

ـ نبيله . تعالى .

والتفتت إليه نبيلة فى ضيق وقالت :

ـ إيه ، عايز إيه ؟

وأحست الأم بداية العاصفة ، فقالت فى حزم :

ـــ نبيله روحى معاه .

وسار سامى ونبيلة خلفه ، حتى إذا ابتعدا عن الغرفة قليلا ، قالت :

ـــ نعم ؟

فأشار إليها بأصبعه ناحية المائدة ، فقالت له فى غيظ :

ـــ ما تنطق عايز إيه ؟

ـــ عايزينك تشيلى الأطباق اللى ع الترابيزه .

ـــ وكانت قد وصلا إلى المائدة ، فراح سامى يستعرض ما عليها بنظرة ازدراء ثم قال :

ـــ أنا عارف هوانم إيه اللى ياكلوا ويسيبوا الترابيزه بالشكل ده !

ـــ إذا كنت ح تشتغل ، اشتغل من غير ما تتنفس بكلمه أحسن لك .

وراحا يتنقلان بين المائدة والمطبخ ، يحملان الملاعق والسكاكين والشوك والصحاف ، دون أن يتبادلا كلمة . كان سامى يحمل الأشياء وذراعاه مبسوطتان حتى لا تتسخ ثيابه ، بينا تسير نبيلة على أطراف أصابع قدميها ، كأنها ترقص على مسرح .

وبدأت فى جمع الفوط ، ووجدت كوبا موضوعا فوق فوطة ، فجذبت الفوطة بقوة ، فصارت فى يدها بينما ظل الكوب على المنضدة . ورأى سامى ما فعلته ، فأراد أن يقلدها ، جذب فوطة ليخلصها من طبق موضوع فوقها ، فصارت الفوطة فى يده ، ولكن الطبق سقط على الأرض ودوى صوت تكسره ، وصلك الصوت أذنى الأم فضمت هالة إليها فى غيظ ، وإن ظلت البسمة تتوج شفتيها .

ولاحظ مصطفى كثرة تلفت حسين صوب الباب ، فقام وقال :

ـ نستأذن بقى .. يللا يا جلال .

فقال شفيق :

ـ إذا كان على جلال مش عايز يمشى أبدا .

وقال حسين وزوجته :

ـ والله ما انتو نازلين دلوقت . بدرى .

واتجه حسين إلى مصطفى وقال له وهو ينظر فى الشرفة ، ويرى مراد و « العجلاتى منهمكين فى نفخ عجلة السيارة .

ـ والله لانت قاعد .

وقال شفيق وهو ينهض :

ـ ما تيجو معانا فى العربية تشموا هوا .

فقالت زينب وهى تنظر إلى هالة :

ـ والأولاد !

ـ ييجوا معانا .

فقالت الأم وهى تبتسم :

ـ هو دا معقول . فيه عربيه تاخدنا كلنا إلا إذا كانت أمنيبوس .

واشرأب حسين بعنقه ، ونظر من خلال الشرفة ، فوجد مرادا والرجل منهمكين فى نفخ العجلة ، فقال وهو يجلس :

ـ والله ما انتوا نازلين دلوقت . اقعدوا شويه .. اقعدوا .. قهوه يا نبيله .

فقال مصطفى :

ــ والله ما احنا قادرين نشرب حاجه ، نقعد ولا نشربش .

فقال حسين وهو يتنفس فى راحة :

ــ طب اقعدوا .

وجلسوا ، وأقبلت نبيلة وسامى ، وقال شفيق وهو يحاول أن يقهر نفسه ويرغمها على عدم التطلع إلى نبيلة :

ــ طب نيجى بكره ناخدكم ونتفسح شويه .

فقالت زينب :

ــ كتر خيرك ، وما تتعبشى نفسك ، مش ح نقدر نخرج .

وقال جلال ، دون أن يحيد نظره عن أحلام :

ــ ناخذ الأولاد .

وضحك مصطفى وقال :

ــ ما بلاش لف ودوران وتقولوا إنكم عايزين تفسحوا أحلام .

وأطرقت أحلام فى خفر ، وقالت نبيلة فى بساطة :

ــ ليه ما نتفسحش بكره ، ما فيش ورانا حاجة ؟

وحدجتها أمها بنظرة تأنيب ، وقال لها أبوها :

ــ انتى حاشرة نفسك ليه ، هو حد عزمك ؟

وقال سامى :

ــ زى البصل محشوره فى كل حاجه .

وقال شفيق :

ـــ بكره نيجى ناخد أحلام وسامى ونبيله .

وقالت الأم :

ـــ والنبى ما تفتحش على نفسك الفاتحه دى .

وقال سامى :

ـــ بكره الساعه خمسه تلاقونا جاهزين .

وجاء مراد وفى يديه ووجهه آثار شحم ممزوج بالتراب ، والعرق يتفصد من وجهه، ووقف بعيدا وجعل يشير لأبيه بيديه أن النفخ قد انتهى ، وأنه يريد نقودا للرجل .

وهم أبوه بالذهاب إليه ليعطيه ما يطلب ، ولكن الأم لحتـه ، فصاحت :

ـــ درمغت نفسك فى إيه كده ، ركبت عجل تانى ؟

فقال مراد وهو ينظر إلى أبيه :

ـــ هو عارف .. هو اللى قال لى .

ـــ قال لك تدرمغ نفسك كده !

وكان أبوه قد وصل إليه ، وأعطاه نقودا فانصرف مهرولا ، ورأت الأم ذلك فقالت لزوجها فى تأنيب :

ـــ بقى يوسخ نفسه وتديه فلوس ! أنا مش فاهمه .

وأحست أن الأنظار اتجهت إليها ، فكظمت غيظها وقالت :

ـــ أهلا وسهلا . شرفتونا .

وقال مصطفى وهو ينهض :

— نستأذن بقى .

وقال حسين :

— خليكو على راحتكو .

وكان ذلك إيذانا بالانصراف ، فنهض الجميع وراحوا يتصافحون ، وقد اختلطت أصواتهم ، وظل جلال يهمس بحديثه لأحلام ، وكان آخر من انصرف .

وخف حسين وزوجه وسامى وأحلام ونبيلة ومراد الذى عاد بعد أن أعطى الرجل نقوده إلى الشرفة يرقبون ضيوفهم وهم ينصرفون .

أسرع شفيق يفتح أبواب السيارة ، وتقدم مصطفى وزوجته فى تؤدة ، بينا حمل جلال عاطفا بين يديه وقال له :

— عملت إيه بالقرش ؟

— اشتريت طباشير .

— فين هو ؟

— خلص . كتبت بيه ع الأتومبيل .

ونظر جلال إلى السيارة فإذا بها قد غطيت بخطوط ودوائر بيضاء ، وأن بابها كان أشبه بسبورة كتب عليها : زرع . درس . وزن . فقد شاركت سوسن أخاها فى استهلاك الطباشير .

ووضع جلال عاطفا على الأرض ، وضربه مداعبا على مؤخرته ، وقال له :

— اطلع على فوق .

ورفع بصره ، فانجذب إلى أحلام ، كأنما لم يكن فى الشرفة غيرها ، فابتسم لها ولوح بيده مودعا ، ثم سار إلى السيارة وركب إلى جوار شفيق .

وغابت السيارة عن العيون ، فقالت الأم :

ـــ ياللا . كلكو ع المطبخ .

وقالت نبيلة :

ـــ يا ماما ورايا مذاكرة .

ـــ اشمعنى المذاكره حليت دلوقت ؟ قدامى ع المطبخ اللى سايبينه لايص وواقف على رجل .

وانسلت أحلام ونبيلة وسامى ومراد ، وبقى الزوجان وحدهما فى الغرفة ، فالتفتت الزوجة إلى زوجها وقالت :

ـــ هيه . عملت إيه مع مصطفى ؟.

ـــ دفع لى المهر .

ـــ وقلت له إن النجف والمشمع وحاجة المطبخ عليه هو انه يجيبها ؟

ـــ ما قلتلوش .

ـــ ما قلتلوش ليه ؟

ـــ ما جتش فرصه .

ـــ ما جاتش فرصه واللا انت انكسفت ؟

ـــ والله أنا مش فاهم الكلام ده . اشمعنى العريس يجيب النجف والمشمع وحاجة المطبخ ؟.

ـــ الدنيا كلها ماشيه على كده .

ـــ ما شفتش حد ماشى على كده إلا انتو .

ـــ قصدك تقول إننا خليناك تجيب حاجات ما حدش يجيبها ؟!

كل العرسان بتجيب الحاجات دى ، وان ما كنتش مصدقنى اسأل .

ـــ ولا بسأل ولا حاجه .

ـــ بلاش ، أصل فلوسك كتير ، قال على رأى المثل .

ـــ ما تقولى المثل إيه .

ـــ أنا عارفه ؟!

وذهبت إلى المطبخ ، وانطلق خلفها ليعاون أولاده ، وهو يغمغم :

ـــ قال على رأى المثل : « عقلك فى راسك ، اعرف خلاصك » .

الفصل التاسع

كانت الردهة خالية ، ولكن لم يكن للصمت فيها مكان ، فالأصوات منبعثة من غرفة الوالدين ، وغرفة الأولاد وغرفة البنات ، كان الجميع يتكلمون وما كان أحد يصغى إلى ما يقال ..

وقالت الأم :

ـــ بس يا مراد ، انزل يا عاطف من ع الكرسى ، وانتى يا سوسن ابعدى من هنا بلاش وجع دماغ .. أوه يا سامى بلاش مناهده بقى .. ما كفايه يا نبيله كلام .

فكانت أشبه بمذيع فى مباراة كرة حامية .

وخرجت أحلام من غرفتها ، ترتدى ثوبا ورديا ، ضاق عند خصرها غاية الضيق حتى ليحار المرء إذا ما فكر كيف مر ذلك الثوب من صدرها الممتلئ عند ارتدائه ، واتسع غاية السعة عند طرفه ، وزينت جيدها وأذنيها وصدرها بعقد وأقراط و « بروش » من طراز واحد ، وكان شعرها ينطق ببراعة الحلاق .

ومرت فى الردهة ، والأصوات تتناثر هنا وهناك ، فلم تحفل بها ، كانت مشغولة بنفسها تعيش للحظة التى سيقدم فيها جلال ليأخذها لأول نزهة بكل حواسها ، والتفتت إلى الساعة المعلقة فى الردهة ، فإذا

بها الخامسة إلا خمس دقائق ، فقالت :

ــ ياللا يا نبيلة زمانهم جايين .

فقالت نبيلة وهى تديم النظر فى وجهها فى المرآة :

ــ أنا خلاص لبست .

وقال سامى وهو يحاول أن ينيم شعره الذى كان أشبه بعرف الديك :

ــ وانا جاى اهه .

ودنا مراد من أبيه وقال فى غضب :

ــ واشمعنى سامى اللى يروح معاهم ؟

فقالت له الأم :

ــ المرة الجايه تروح معاهم .

وقال سامى فى غطرسة :

ــ حتى انت ليك نفس ، يا شيخ روح طلع الحبر من صوابعك قبله .

وقال مراد فى عناد :

ــ لازم اتفسح النهارده . ماليش دعوه .

ودنت سوسن من أمها وقالت :

ــ عايزين نتفسح ــ اشمعنى هم يخرجوا ؟

وأسرع عاطف إلى أبيه وقال له :

ــ آه يا بابا نتفسح ، والنبى نتفسح .

ورق قلب الأب لأولاده ، فقال لهم :

ــ طب البسوا وانا أفسحكم .

فقال سامى وهو فى طريقه إلى غرفة أبيه :

ـــ يا بابا تاخد مراد معاك ازاى وشعره طويل كده .. لما يحلقه قبله .

فقال مراد فى تحد :

ـــ وانت مالك ؟

ـــ ما هو يا ماما ..

فقاطعته أمه :

ـــ بس مالكش دعوه بيه . روح انت مطرح ما انت رايح .

وقالت سوسن وهى تتمسح بأبيها :

ـــ هم ح يركبوا أتومبيل ..

فقال لها الأب :

ـــ ح اركبكم أتومبيل .

وقال عاطف فى فرح :

ـــ وانا اللى اسوقه .

فقال لأب وهو يعبث فى شعره فى حنان :

ـــ وانت اللى تسوقه .. ياللا روحوا البسوا .

وخرجوا من غرفة أبيهم فرحين ، مراد يخلع جاكتة بيجامته ، وسوسن تحاول أن تخلع ثوبها وهى فى طريقها إلى غرفتها ، وعاطف يصيح :

ـــ لبسونى .. لبسونى ..

وقالت أمه وهى تضع هالة بجوار أبيها :

ـــ طيب . أنا جايه البسك .

والتفت الأب إلى هالة وقال مداعبا :

ـــ وانتى .. مش عايزه تتفسحى ؟

فقالت الأم وهى تهم بمغادرة الغرفة وعاطف فى يدها :

ـــ يا ريت تاخدها معاك وتريحنى .

ونظر الأب إلى هالة ، فإذا بعاطفة الحنان تتحرك فى جوفه ، وإذا بأساريره تنبسط ، وإذا به يمد يديه ويحملها ، ويضمها إلى صدره ويقبلها .

وبلغ صوت نداء سيارة آذان الجميع ، فحدث فى الشقة هرج شديد ، راحت أحلام تهرول صوب باب الشقة فى فرح وفى أثرها نبيلة وسامى ، وقد أخذ سامى يصيح :

ـــ أيوه . نازلين .

وقالت سوسن فى غضب :

ـــ اشمعنى هم ينزلوا قبله .

وجرى عاطف إلى والده حافى القدمين ، وجذبه من بنطلونه الذى كان يرتديه ، وقال له :

ـــ ياللا احنا كان ننزل بقى .

فقال له أبوه وهو يدفعه فى رفق :

ـــ روح كمل لبسك ، وتعال ننزل .

وخف مراد إلى الشرفة يرقب إخوته .

تقدمت أحلام إلى السيارة فى دلال ، وإن كانت المشاعر الرقيقة المنبعثة فى جوفها انعكست على مرآة وجهها ، وضيقت من خطوها ، ولو طاوعت نفسها وأطلقتها على سجيتها لهرولت وهى تنادى : « جلال .. جلال » .

وتقدمت نبيلة فى رشاقة كأنما تسير على أطراف أصابعها ، وقد شمخت برأسها فى كبرياء ولم تغير صفحة وجهها مسحة من كبر ، وسار سامى وهو ينقل عينيه بين أحلام ونبيلة والسيارة . كان المراقب الذى يخشى أن تشرد منه شاردة ، أو يأتى أحد المراقبين بحركة فى غفلة منه !

وقفز شفيق من السيارة فى رشاقة وفتح بابها ، فحيته أحلام بإيماء من رأسها ، ومدت بصرها فألفت جلالا جالسا خلف عجلة القيادة ، فصعدت لتشاركه فى المقعد الأمامى وهى تقول فى نبرات مشحونة بالعاطفة المشبوبة :

ـــ مساء الخير .

فقال جلال مغازلا :

ـــ مساء النور ، مساء الجمال .

وقالت نبيلة وهى ترفع يدها إلى رأسها ، فقد نسيت كبرياءها المصطنعة ، وعادت إلى طبعها :

ـــ السلام عليكم .

فقال شفيق وجلال :

ـــ عليكم السلام .. أهلا .

ومدت يدها وصافحت شفيقا ، ثم صعدت إلى المقعد الخلفى ، وهى تمد يدها إلى جلال لتصافحه .

وهز سامى رأسه محييا ، وغمغم بعض كلمات لم يفهم منها شىء ، ولكنها أولت على أنها تحية . ووقف برهة مترددا يفكر . وإذا به لأول مرة فى حياته يتمنى لو أن أحد إخوته قد جاء معهم ، حتى يجلس بين أحلام وجلال ، بينا يجلس هو بين نبيلة وشفيق ، حتى يطمئن إلى عدم تماس أجسام البنات بأجسام الشباب .

وفى مثل لمح البصر تذكر أن هناك خطبة بين أحلام وجلال ، وأنه لا غضاضة من تركهما جالسين فى مقعد واحد دون عازل ، ما داما تحت بصره وسمعه ، فصعد وجلس إلى جوار نبيلة ، وقعد شفيق إلى جواره وأغلق باب السيارة خلفه .

وانطلقت السيارة ، وقال جلال وهو ينظر إلى أحلام :

ـــ تحبوا تروحوا فين ؟

قالت نبيلة فى نشوة :

ـــ نروح الهرم ، أنا ما رحتوش من أيام ما كنت فى ابتدائى ، لكن لسه فاكره المنظر الجميل اللى شفته هناك ساعة الغروب ، منظر بديع ، كانت الشمس وهى نازله زى ..

وقال سامى مقاطعا :

ـــ إيش ودانا لهناك ؟

فقال شفيق وهو يديم النظر إلى نبيلة ، دون أن يأبه لعينى سامى

المحملقتين :

ــ فكره جميله ، أنا موافق ع الهرم .

وقال جلال لأحلام :

ــ وانتى ، رأيك إيه ؟

فقالت وهى تغوص فى مقعدها :

ــ مطرح ما تحبوا .

فقال شفيق :

ــ يعنى موافقه . خلاص نبقى أغلبية . ع الهرم .

وصمت سامى على مضض ، وإن راح يمضغ غيظه ، وقال شفيق لنبيلة :

ــ كملى . كنتى بتقولى : كانت الشمس وهى نازله زى .. زى إيه ؟

فقالت وهى تضحك :

ــ والله ما انا فاكره ، أنا لما حد يقاطعنى وانا باتكلم يطير كل اللى فى مخى .

فقال سامى فى شماتة :

ــ الحمد لله إنه طار ، وإلا كنا ح نفضل نسمع للصبح .

فقالت له فى تهديد :

ــ سامى ، لم لسانك أحسن لك .

وأحس جلال أن الجو بدأ يتكهرب ، وأن نقاش نبيلة وسامى

سيخرجه من الجو الشاعرى الذى بدأ يستشعره ، وهو قابض على عجلة القيادة وأحلام إلى جواره ، والنيل ينساب رقراقا كمرآة سحرية تعكس أفانين من الجمال ، تفجر ينابيع الحب والهيام ، فضغط على زر راديو السيارة فإذا بأنغام عذبة تنبعث حنونة ، فتهدئ الأعصاب التى بدأت تثور ، وتجعل الجميع يسترخون حالمين فى مقاعدهم .

ودنت أحلام من جلال ، ومالت برأسها نحوه ، ثم أسندته على مسند المقعد ، وراح شفيق ونبيلة يتبادلان النظرات ، ثم يطبقان الأجفان حتى لا تفر رؤى الأمانى العذاب ، التى كانت الموسيقى تفتق مواهبها !

ونظر جلال إلى أحلام ، فألفاها ترمقه بعينين والهتين ، فيهما حب وفيها رغبة وفيهما نداء ، فراح يديم إليها النظر ، وتخاطبت العيون ، وانبثقت الأحاسيس ، وولدت اللحظات المسحورة التى تنتشى فى ذاكرة المحبين ، وتختزن فى سويداء القلوب ، لتعيش الأفئدة عليها فى السنين العجاف .

وفقد جلال سيطرته على حواسه ، كان فى شبه غيبوبة ، استرخت قبضته على عجلة القيادة فإذا بالسيارة تنحرف ، وتكاد ترتطم بشجرة ضخمة من الأشجار المغروسة على جانبى الطريق .

وصاح سامى فى فزع :

ـــ حاسب ح نروح فى داهية .

وأفاق جلال من حلمه ، وفى مثل لمح البصر سيطر على السيارة ، وأبعدها عن الخطر ، فأحدث احتكاك العجل بالأرض صوتا غطى على

صوت الموسيقى ، ولكن سرعان ما تلاشى ، وسرت مرة أخرى الألحان الحالمة .

وتأهب من فى السيارة ليستأنفوا شرودهم اللذيذ ، وإذا بصوت سامى يعكر صفاءهم :

ـــ والنبى تدور لنا محطة غير دى .

ومد جلال يده إلى الأزرار ، والتفت سامى إلى نبيلة وقال :

ـــ شورتك كانت ح تودينا فى داهية .. كان لازم الهرم ؟! حبكت !

فقال شفيق :

ـــ حصل خير .. مين عارف كان ح يحصل إيه لو كنا رحنا فى حته تانيه .

وأرضى نبيلة انبراء شفيق لتأييدها والدفاع عنها ، فمنحته بسمة اعترافا منها بجميله .

وانطلقت السيارة حتى إذا لاحت الأهرام فى الأفق ، قالت نبيلة فى انشراح :

ـــ الأهرام أهيه .. مش عارفة أنا فرحانه كده ليه ، متهيأ لى إنى رجعت عيله صغيره .. عايزه اتنطط واجرى ، تعرفوا لو توافقونى على عقلى ، تقفوا هنا وانزل أجرى .. أجرى لغاية ما اوصل الهرم .

فقالت أحلام ، وهى تبتسم :

ـــ تجرى من هنا لهناك ؟. كان انقطع قلبك .

وملأ شفيق رئتيه بالهواء وقال :

ـــ حاجة لطيفة . تيجو نوقف العربيه ونجرى شويه .

فقال له جلال :

ـــ اعقل .

فقال شفيق :

ـــ والله نفسى أجرى . بقى لى زمان .

ـــ طب استنى لما نوصل فوق .

ونظر شفيق إلى نبيلة ، وقال دون أن يبعد عينيه عنها :

ـــ سامى . تسابقنى ؟

فقال سامى فى غرور :

ـــ ح اسبقك . ما فيش كلام .

فقال شفيق :

ـــ الميه تكدب الغطاس .

وقالت نبيلة :

ـــ وانا ح اخش معاكم فى السباق ده .

فقال لها سامى :

ـــ نفسى تبطلى غلبة ، ولا تحشريش نفسك فى اللى مالكيش فيه .

وصعدت السيارة المنحدر ، ووقفت عند سفح الهرم الأكبر ، وفتح شفيق الباب وهبط يتبعه سامى ثم نبيلة ، بينا ظل جلال وأحلام فى مكانهما يصغيان إلى الموسيقى .

ودارت نبيلة دورة على أطراف أصابع قدميها ، وقالت :

ــ احنا مش عايشين . آدى الحياة .

فقال لها سامى وهو يهز رأسه آسفا :

ــ نفسك تسيبى على طول .

ــ نفسى أبقى حره .. طليقه .. زى النسيم .

فقال لها سامى :

ــ ح نمثل .. شياطين الفن ح تتحرك .

فدنا منه شفيق وقال له :

ــ انت فى سنه إيه ؟

ــ أولى ثانوى .

فقال شفيق فى استنكار :

ــ لسه أولى ثانوى .

فقالت نبيله وهى تضحك :

ــ ما هو أولى ثانوى دلوقت .. يعنى تالته ثانوى زمان .

ــ دى حاجه تلخبط . ما افهمش حاجة فى النظام الجديد ده أبدا لدرجة إنى فكرت مره أعمل جدول معادلات .. وانتى فى سنه إيه ؟

فقالت فى فخر :

ــ فى تالته ثانوى .

ــ ودى تساوى إيه فى جدول المعادلات ؟

ــ توجيهى .

ــ وناويه بعد ما تخلصى تقعدى فى البيت زى أحلام ؟

فقالت وهى تشب على أصابع قدمها :

ـــ لأ .. ح اروح الجامعه ، وح ادخل كلية الطب .

فقال لها سامى :

ـــ دا بعدك .

ـــ بكره تشوف .

ـــ بكره تشوفى انت .

وقال شفيق :

ـــ ياللا مش ح نتسابق ؟

وراح يخلع جاكتته ، ففعل سامى مثله ، ومد شفيق إليه يده بالجاكتة وقال :

ـــ ولله لو تسمح تودى الجاكتة دى معاك فى العربيه .

وتناول سامى الجاكتة ، وذهب إلى السيارة ، وأحست أحلام دنوه فرفعت رأسها عن صدر جلال،والتفتت إليه، فإذا بجلال يلتفت ويقول:

ـــ ناويين على إيه ؟

ـــ ح نتسابق .

واقترب شفيق من نبيلة وقال لها :

ـــ وليه ما تقعديش فى البيت زى أختك ؟

ـــ أقعد فى البيت أعمل إيه ؟

ـــ تعملى زيها .

ـــ أملا قلل واغسل واطبخ وامسح . لا .. دانا ح ابقى دكتوره ..

دكتوره مشهوره .. أنا شايفه اليافطه دلوقت على العياده .. « الدكتورة نبيلة حسين » .

— بقيتى دكتوره مشهوره . وبعدين ؟

وقالت مفكرة : .

— وبعدين ؟ وبعدين ؟ مش عارفه .. ما فكرتش .. كان أملى إنى أبقى دكتوره .

وابتسم شفيق ، ووصل إليهما سامى ، وقال :

— ياللا . اقفوا جنبى هنا ، شايفين الحجر الكبير اللى هناك ده ؟ ح نجرى لعنده ونرجع للعربيه .

واصطفوا صفا واحدا ، والتفت سامى إلى السيارة وقال :

— أحلام . خدى بالك . ح نبتدى .

وقالت أحلام دون أن تلتفت :

— حاضر .

واستأنف جلال حديثه وأحلام ترنو إليه فى وله :

— تعرفى ، نفسى اكون أنا وانتى لوحدنا فى جزيره ، ما شفش غيرك ولا تشوفيش غيرى ، واسمعك لوحدى ، وما تسمعيش غيرى .

فقالت وهى تبتسم فى إغراء :

— وإن زهقت ؟

— مش معقول أزهق وانتى جانبى .

وازدادت قربا منه ، ورفعت بصرها إليه ، فإذا به يهوى عليها ويقبلها وهو يضمها فى قوة .

وارتفع الصياح ، فالتفت جلال وأحلام ، فوجدا أن سامى وشفيق فى عودتهما بينا لم تصل نبيلة إلى الحجر .

وقفت نبيلة ، وتلفت شفيق نحوها وخفف من سرعته ، وراح سامى يعدو بأقصى سرعته مزهوا بنصره .

ووقف شفيق ، وانتظر حتى وافته نبيلة وسارت إلى جواره تلتفظ أنفاسها ، وقال لها :

ـــ تعبتى ؟

ـــ حاسه إن قلبى ح ينط من بقى ، وإن رجليه مش قادره تشيلنى .

ومد لها ذراعه وقال :

ـــ طب اسندى على .

وترددت ، وإن كانت تلهث ، وتحس قواها تخور ، وفطن إلى ترددها فمد لها يده ، فإذا بها تضع يدها فى يده ، وتسير معه .

وصاح سامى فى فرح وهو مستند إلى السيارة :

ـــ لما انتو مش قد الجرى ما تبقوش تتغالبوا .

وأدار وجهه ناحية الغرب ، فإذا بالشمس فى الغروب . فهتف :

ـــ ما تمدى يا نبيله شويه عشان تشوفى المنظر الجميل اللى عجبك قبل الشمس ما تغيب .

وقال لجلال وأحلام :

ـــ ح تفضلوا لابدين فى العربيه كده . مش ح تنزلوا شويه ؟

فقال جلال وهو يفتح باب السيارة :

ـ آدى احنا نازلين .

ووقف الجميع برهة صامتين ، وهم يرصدون الشمس وهي تغوص فى الأفق البعيد .

وركبوا السيارة وقد خيم الظلام على المكان ، وقفلوا عائدين وقد سيطر عليهم السكون ، صمت الراديو وركن سامى إلى الهدوء ، حتى نبيلة لم تنبس بكلمة ، كانوا جميعا يجترون الحوادث التى انزلقت من لحظات من دنيا الواقع إلى عالم الذكريات ، وقد راحت يد الخيال تنمقها فتزيدها فتنة وجمالا .

ولاح فى وجه جلال وجد وهيام ، فمد يده ووضعها فوق يد أحلام ، ليربط ما يدور برأسه بواقعه الذى يعيش فيه .

وبلغت السيارة الدار ، فأفاق الجميع من أحلامهم ، وفتح الباب الخلفى وهبط شفيق وسامى ونبيلة ، ثم فتح الباب الأمامى وهبطت أحلام وهى ترنو إلى جلال وتقول :

ـ مش ح تطلع شويه ؟

ـ معلهش المره دى .. بقينا ليل .. المره الجايه .

ومدت يدها وصافحته ، ثم صافحت شفيقا ، وانطلقت مرحة ، وقالت نبيلة :

ـ السلام عليكم .

ولكنها لم تنصرف ، بل مدت يدها إلى شفيق تصافحه ، وأحست يده تضغط على يدها ، فخفق قلبها ، ونظرت إليه فإذا فى عينيه نور

يأتلق ، فاستشعرت كأن تيارا كهربيا سرى فى روحها فزلزل كيانها .

وتسمرت لحظة ، وقد استبد بها اضطراب لذيذ ، وأحست فى لمحة أنها تغيرت ، لم تعد طفلة ، فقد راحت تمور فى أغوارها مشاعر ناضجة !

ودارت على عقبيها ، وسارت فى تؤدة ، كانت تستشعر كأنما صارت طيفا ، ومع ذلك لم تنطلق فى خطوات راقصة على أصابع قدميها كعادتها ، بل انسابت فى رزانة ، تطأ الأرض بكل قدمها .

ووقف سامى يودع جلالا وشفيقا ، ولم يتحرك إلا بعد أن ابتعدت السيارة وابتلعها الظلام .

وصعدا إلى الشقة وإذا بمراد وسوسن وعاطف يخفون إليهم ويلتقون بهم ، ويسألونهم فى صياح :

ــ رحتم فين ؟. رحتم فين ؟

فقال سامى فى فخر :

ــ الهرم .

وقالت سوسن فى حزن :

ــ بابا ضحك علينا ، وركبنا تاكسى شويه صغيره ورجعنا .

وقال مراد وهو يحاول أن يعترض طريقهم ليؤخر وصولهم إلى غرفهم :

ــ تعرفوا عداد التاكسى ضرب كام ؟ تمانيه صاغ .

ودخلت سوسن على أبيها وقالت :

ــ أنا عايزه أروح الهرم .

وقال الأب فى أسى ، فقد جرح نفسه سخرية أولاده من النزهة التى حاول أن يدخل بها السرور على قلوبهم ، كان يأمل أن يرضوا فإذا بها تخلف فى نفوسهم مرارة :

ـــ حاضر .

وأقبل عاطف وقال :

ـــ وانا يا بابا .

وعبث بشعره وقال :

ـــ وانت يا حبيبى .

ودخل مراد وقال :

ـــ المره الجايه أنا اللى ح اخرج معاهم ، اشمعنى سامى يعنى اللى يخرج معاهم كل مره .

فقالت الأم :

ـــ هم خرجوا إلا المره دى ؟

فقال مراد وهو يعبث فى كرفاتة أبيه المعلقة :

ـــ ما انا عارفه لزقه ، ما يحبش إلا نفسه.وسامى أنانى خطف الفسحه من قدامى .

فصاحت الأم فيهم جميعا :

ـــ إيه لزمة الخوته دى دلوقت ؟. ياللا امشى بره انت وهو .

فقال مراد معترضا :

ـــ إيه . احنا عملنا حاجه .

وهمت الأم وتحركت فى مقعدها وقالت :

ـــ والله إن ما خرجتو من هنا لضرباكم بعصاية الغليه .

وفر الأولاد من الغرفة كأرانب مذعورة ، فالتفت الأب إلى الأم وقال :

ـــ ليه بس كده ؟

فقالت الأم :

ـــ دلعهم يا خويا عشان يحبوك . أنا ما اعرفش ادلع . أنا أربى .. التربيه ما تنقص عمر .. قال على رأى المثل .

فقال الزوج مداعبا :

ـــ طب المثل بيقول إيه ؟

ـــ أنا عارفه ؟

ـــ المثل بيقول : ربى ابنك واحسن أدبه ، التربيه ما تاخد أجله .

ـــ يا اخويا الأمثال كتير ، الواحده ح تفتكر إيه واللا إيه .

ـــ أمال كل ما تتكلمى تقولى « على رأى المثل » ليه ؟ دا اللى يسمعك يحسبك قاموس فى الأمثال .

ـــ يوه بقى .

وخلعت أحلام ونبيلة ثيابهما ، وارتدتا ثياب النوم ، وأسرعت كل منهما إلى سريرها لتعيش وحدها مع خيالها ، وجذبت نبيلة الغطاء فوقها ، وتململت فى رقدتها وقد رفت على شفتيها بسمة حالمة .

وأحست أن الضوء المنبعث من الردهة الخارجية يشغلها عن



سامحيني يا أحلام ، ما كنتش فاهمه إني بضايقك

لما كنت بانور الأباجوره .. النهارد بس فهمت .

الاستغراق فى أوهامها ، فقامت تطفئ النور ، ومرت وهى فى طريقها إلى الزر الكهربى بعاطف وهو غارق فى نومه على الأريكة ، فلم تفكر فى حمله إلى سريره ، وضغطت على الزر ، ثم عادت إلى سريرها مسرعة ، وما إن اندست فى فراشها حتى التفتت إلى أحلام وقالت :

ــ سامحينى يا أحلام ، ما كنتش فاهمه إنى بضايقك لما كنت بانور الأباجوره .. النهارده بس فهمت .

فقالت أحلام فى تكاسل :

ــ فهمتى إيه ؟

فقالت نبيلة وهى تنام على ظهرها وتضع كفيها تحت رأسها ، وتشرد ببصرها :

ــ أنا عرفه ! فهمت كتير .

وهامتا فى عالم وردى من التصورات ، ورفت على شفتيهما ابتسامات رضا وأمان وأمل .

الفصل العاشر

وقف حسين أمام باب الشقة وفى وجهه سهوم ، ومد يده إلى زر الجرس وضغطه ، ثم أرخى ذراعه وراح يعبث فى أصابعه . كانت حركاته توحى بالقلق . وفتح الباب ودخل ، وما إن خطا خطوتين ، حتى دوت زغرودة طويلة ممدودة ، وبدرت حفنة من « الملبس » على الأرض ، فانقض الأولاد جميعا يلتقطون « الملبس » المنثور .

ونظر حسين إلى زوجته فى تساؤل ، فقالت :

ـــ دى الخياطه جابت فساتين أحلام .

ودلف حسين إلى غرفته ، وزوجته خلفه ، وقبل أن يستقر على مقعده ، قالت له زوجه :

ـــ الخياطه طالبه خمسين جنيه .

فقال وقد اتسعت عيناه :

ـــ خمسين جنيه ! دا كتير .. كتير قوى .

ـــ مش كتير . يا دوبك . مش فصلت أربع فساتين سهره كوكتيل وخمسه تواليت وتمانيه اسبور وست جونلات وست بلوزات وتلات بلوزات نايلون وجيبون تواليت وجيبون اسبور ؟

وأحس حسين رأسه يدور ، وقام إلى الصوان وفتحه وأخرج منه

خمسين جنيها ، وقال لزوجته وهو يمد لها يده بالأوراق المالية :

ــ خلاص . ما بقاش معانا حاجه ، المهر اللى خدناه ، والقرشين اللى كنا شايلينهم طاروا .

ــ ياما قلت لك إوعى لنفسك ، ياما قلت لك طالع لنا بنات .

ــ يعنى كنا حا نعمل إيه ؟ ما ناكلش ! كل اللى كان بيجينا كنا بناكل بيه .

ــ برضه لو كنا وعينا لنفسنا ما كناش احتجنا لحد دلوقت . اللى حصل .

وخرجت زينب ، وبقى حسين وحده فى الغرفة ، فالتفت إلى المرآة وقال لصورته فيها :

ــ دايما انت السبب .. إنت اللى بتبعزق الفلوس .. إنت اللى ما وعتش لنفسك ، إنت اللى بتشترى كل شهر شنطه وجزمه وفستان عشان مودة اللى اشتريتهم الشهر اللى فات اتغيرت . معلهش . لك رب اسمه الكريم .

ودست الخياطة الأوراق المالية فى حافظتها ، وقبلت أحلام ، ثم ربتت على خد نبيلة وقالت :

ــ عقبالك .. بس قريب إن شاء الله .

ومست أمنيتها أذنى حسين فنظر إلى نفسه فى المرآة فى ذعر ، وقد فغر فاه دهشة .

وأسرعت نبيلة إلى أبيها وقالت :

ـــ بابا أنا عايزه فستان أبيض أنزل بيه مع أحلام .

فجرى سامى إليها حتى لا تفوته الفرصة وقال :

ـــ غرنا ! ما تشوفش حاجه إلا لما تجيب زيها .

فالتفتت إليه وقالت :

ـــ وانت مالك ؟

فقال لها سامى :

ـــ مش تخلى عندك نظر .

وقالت وهى تنصرف :

ـــ ح اجيب فستان غصب عنك .

وأخرجت له لسانها فلم يأبه بها ، لأنه أراد أن ينتهز الفرصة لنفسه ، فقال لأبيه :

ـــ بابا ، أنا عايز بدله كحلى وقميص أبيض وجزمه لميع .

وجاءت الأم ، وسوسن تتمسح بها ، ولما رأت أباها قالت :

ـــ عايزه جزمه بيضه بكعب عالى . اشمعنى أحلام ؟

فصاح مراد وهو مقبل :

ـــ إيه الطمع ده ؟، ما عندك جزمه سوده جديده . أنا اللى ما عنديش حاجه أبدا ، أنا عايز بدله ببنطلون طويل .

فقال سامى :

ـــ انت تلبس بنطلون طويل !

ـــ وانت مالك ؟

وصاحت الأم فيهم :

ـــ ابعدوا دلوقت خللوا بابا يقلع ويستريح . ياللا بره .

وانسحبوا من الغرفة ، وبدأ الأب يخلع ثيابه ، ومدت الزوجة يدها وتناولت ثوبا صغيرا من سرير هالة ، ونشرته بين يديها وقالت فى هيام :

ـــ شوف الفستان اللى خيطته الخياطه لهاله .. مش طعم والنبى !

وخلع قميصه ، فبدت الفانلة ممزقة ، فقالت له الزوجة فى إنكار :

ـــ بقى تصرف الصرف ده وتستخسر فى نفسك فانلتين ؟

ـــ والنبى تسيبينى فى حالى . أنا مش عايز حاجه ، نفسى بس أسد بق البير المفتوح ده .

ـــ كله ينتهى .

وأطرق صامتا ، وجلس يخلع حذاءه ، وبان فى وجهه الهم ، وساد الصمت برهة ، وزوجه ترمقه فى قلق ، وأرادت أن تخرجه من صمته ، فقالت له :

ـــ أحلام عايزه أربع تطقم نايلون .

فقال فى إنكار :

ـــ أحلام تلبس نايلون ؟.

ـــ وما تلبسش نايلون ليه ؟

ـــ هو النايلون بيغطى حاجه . دا فضيحه .

وأرادت أن تداعبه لترفه عنه ، فقالت له :

ـــ وانت إيش عرفك ، شفت النايلون على مين ، قول لى ؟

ـــ شفته فى الفتارين .

ـــ يا راجل !

ـــ ما تشوفى حاجه غير النايلون ده .

ـــ ح نيجى ع الآخر ونكسر بخاطرها ، نجيب لها الأربع تطقم وخلاص ، واهى ح تلبسهم فى أودتها .

فقال وقد شرد ببصره :

ـــ ع الآخر ؟ مين اللى قال ع الآخر . قدامنا كتير ، بتاع الموبيليا عايز فلوس ، والمنجد عايز فلوس ، والنحاس عايز فلوس ، وأنا خلاص ما بقاش معايا فلوس .

ـــ وح تعمل إيه ؟

ـــ عملت وخلاص . طلبت استبدال جزء م المعاش .

ـــ خسارة !

ـــ لا خساره ولا حاجه ، لو طلت استبدال المعاش كله كنت استبدلته ، مش أحسن ما الحكومة تورث فيه ؟

فقالت الزوجة فى فزع :

ـــ ما وعيت .

ـــ ح توعى ، ودى فيها كلام ح اموت يوم ، وح تورث الحكومة فيه .

ـــ بعد الشر .

وشرد ببصره وقال :

ــ أنا مش فاهم الحكومه تورث ليه ، هى أمى و ابويا ولا بنتى ولا ابنى ولا انا مسئول عنها .

وتمدد فى السرير ، ونظر إلى حيث ترقد هالة ، ثم التفت إلى زوجه التى تناولت حذاءه ؛ وراحت تضعه فى مكانه ، وقال لها :

ــ قولى لى يا زينب لو مت تعملى إيه ؟

فقالت له فى ضيق :

ــ أوه . والنبى تسيب السيره دى .

ــ وليه نهرب م اللى ح يحصل ؟ ما نفكر سوا فى اللى تعمليه لو مت .

ــ يمكن أموت قبلك .

ــ ونفكر فى اللى نعمله لو متى .

ــ ودى عايزه تفكير ؟ ح تتجوز واحده تانيه تذل الأولاد وتمرمطهم .

ــ تفتكرى كده ؟

ــ ما فيش كلام . يعنى انت أحسن من مين ؟

ــ طب لو مت قبلك تعملى إيه ؟

ــ أشوف شقه على قدى ، وادبر عيشتى أنا والأولاد على قد القرشين اللى يطلعوا لى .

ــ يعنى من مصلحتك ومصلحة الأولاد إنى أموت قبلك .

ــ أوه . والنبى تفض السيره دى . أنا عارفه النهارده مالك ، مسكت الحكايه دى واستقلعت ليه ؟

وتركته وغادرت الغرفة ، وإذا بسوسن تقبل وفى يدها ورقة ، ودفعت بها إلى أبيها وقالت :

ــ بابا عايزينك فى المدرسه تحضر مجلس الآباء .

فقال وهو شارد :

ــ حاضر .

وأسرعت نبيلة إليه وقالت :

ــ اشمعنى ح تحضر مجلس الآباء فى مدرسة سوسن ، وما حضرتش المجلس فى مدرستى ؟

وخف سامى إليه وقال :

ــ مجلس الآباء بتاعنا بكره ، ضرورى تحضره .

وصاح مراد :

ــ كل أصحابى أبهاتهم حضروا مجلس الآباء .

وأقبلت الأم على صياحهم ، وقالت لهم :

ــ هو ما حدش يعرف يستريح شويه فى البيت ده ! بره .

وانسلوا من الغرفة ، وقال الأب :

ــ بس الواحد ح يروح هنا واللا هنا واللا هنا واللا هنا . ح يجيب الوقت منين ؟! يعنى ما يجيناش بدل الكلام ده عضوية مجلس إدارة شركه .. تحل أزمتنا ؟

ــ أنا عارفه عرسان اليومين دول إيه ؟ الواحد منهم يدفع المهر ويسلت إيده ، لا نفقه ولا نشان ، فاكر الهدايا الحلوه اللى كنت بتبعتها

لى فى المواسم ! عروسة المولد اللى قد كده ! والحلاوة الحمصية والسمسميه ، واللا السمك اللى كان يملا طشوت .. والنشان اللى بعتولى .. الفستان القصب والجزمه القصب ، والشرابات الحرير والصابون الممسك ، والشباشب اللى قلبك يحبها . تصدق إن الهدايا اللى بعتها لى فرحتنى أكتر من كل الحاجات اللى جابوها لى ؟

ـــ دى بقت موضه قديمه .

ـــ موضه قديمة ! والله كانت تشرح القلب ، ده فقر اللى بيعملوه اليومين دول .

ـــ تعرفى أنا كل ما اشوف سامى ومراد وعاطف بتهدا نارى .

ـــ ليه ؟

ـــ مسيرهم ح يتجوزوا يوم ، وادفع لهم المهر وبس واسلت إيدى أنا كمان ، واسيب غيرى يكع ، واخد بتارى .

وسمع ارتطام حذاء صغير بالباب ، فقالت الأم :

ـــ عاطف جه ، كان فين غطسان من بدرى ؟

وأسرعت تفتح له الباب ، وبدأت هالة تبكى ، فنهض حسين وحملها فى حنان ، وقال لها وهو يرقصها بين يديه :

ـــ تعرفى لو عشت لغاية ما أجوزك ، ح اجهزك جهاز ما فيش واحده اتجهزته ، مش ح يبقى ع الحجر غيرك .

وضمها إليه وقبلها قبلة أنسته كل آلامه ومتاعبه ، أحس الكدر الذى غبش صدره ينقشع ، والهموم التى كادت تنقض ظهره تتلاشى ، وإذا

بصيص من الأمل يبدد ظلام نفسه ، ثم يتداح حتى يملأ جوانحه .

وفتحت الأم الباب ونظرت ثم ارتدت خطوة وصاحت :

ـ إيه القرف ده ؟

كان عاطف يرتدى قميصا أبيض مخططا بخطوط حمراء ، صار رماديا من أثر التراب ، وقد التصقت خصلات شعره بجبهته من أثر العرق المتصبب منه ، وكان بنطلونه ممزقا عند فخذه ، أما حذاؤه فلا لون له ، وفى يده قطعة حبل وفى نهايتها كلب صغير ، أذناه طويلتان تخطان فى الأرض وشعره متهدل ، أبيض اللون ، حول عينه اليسرى هالة سوداء .

وجذبت الحبل من يده ، ولكنه تشبث به ، فقالت له :

ـ سيب الكلب ، جبته منين ؟

ـ واحد صاحبى اداهولى .

وعوى الكلب ، فإذا بأحلام ونبيلة وسوسن وسامى ومراد ، يتسابقون إلى الباب ، أحلام فى قميص النوم ، ونبيلة ترتدى بنطلون البيجاما ، عارية الصدر ، حافية القدمين ، وسامى ليس عليه إلا بنطلونه الأبيض القصير ، ومراد بالفانيلا و « الكلسون » ، أما سوسن فقد راحت تهرول وفى قدميها شبشب كبير .

وخرج الأب من غرفته ينظر وهو يحمل هالة .

وقالت الأم وهى تجذب الحبل :

ـ ما تتعبش نفسك ، الكلب دا مش ح يخش الشقه أبدا .

وقالت أحلام :

ـــ يا جماله !

وأسرعت نبيلة إليه وحملته ، فصاحت فيها أمها :

ـــ نزليه ع الأرض ، مش شايفاه وسخ ازاى ؟.

فقالت نبيلة :

ـــ ح احميه .

وقالت سوسن :

ـــ والنبى يا ماما تسيبيه ، دا لطيف خالص .

وصاح مراد :

ـــ ح ننضفه ، ح نخليه فل .

فقال له أمه فى غيظ :

ـــ ياخى روح نضف نفسك .

وسارت نبيلة به إلى الحمام ، وإخوتها خلفها يتصايحون ، فقالت لها أمها :

ـــ يعنى عفيتى دلوقت ، لا تعبانه ولا مهمده ولا وراكى مذاكره ، ما تتشطريش إلا فى الحاجات الهايفه .

وأغلقت الأم الباب خلفها ، وسارت مهزومة حتى إذا بلغت زوجها قالت له :

ـــ هو البيت كان ناقص كلاب ! ما كفايه اللى فيه .

وسار الزوجان إلى الحمام ووقفا بعيدا ينظران ، وجدا أحلام تدلك جسم الكلب بالصابون بينا راحت نبيلة تصب لها الماء ، بينا راح عاطف

يصيح :

ــ ده كلبى ، أنا اللي أحميه .

وطفق يمد يده ليأخذ من نبيلة الكوز ، وسامى يبعده ، ومراد يقول له :

ــ استنى لما يستخمه ابقى خده .

وقالت سوسن وهى تلوح بالمشط فى يدها :

ــ أنا اللى ح اسرحه .

وقالت أحلام :

ــ ناولنى فوطه يا سامى .

قالت الأم فى غضب :

ــ مش ناقصنا إلا الكلب نجيب له فوط راخر ، وهو انتو مش داريين ، ما بتحسوش . والله اللى ح يحط الفوطه على جسمه ح يعرف شغله .

وشقت نبيلة طريقها إلى غرفتها وعادت بجاكتة بيجامتها ، ولفت الكلب فيها ، ثم عادت إلى غرفتها وإخوتها خلفها .

وسارت الأم إلى غرفتها مطرقة وزوجها إلى جوارها ، وقالت له :

ــ هو احنا قادرين نأكلهم لما ح نأكل الكلب ؟ قال على رأى المثل .

فقالت زوجها وهو يبتسم :

ــ مش لاقيين العيش ياكلوه ، يجيبوا كلب يربوه .

الفصل الحادى عشر

اصطف الأولاد فى حلقة واسعة ، وقد ركع سامى ومراد وأحلام ونبيلة وسوسن على ركبهم بينا ظل عاطف واقفا ، ووضعوا الكلب فى مركز الدائرة ، وقالت نبيلة :

ـــ اللى يروح له الكلب يبقى ح ينجح السنه دى .

وراح كل منهم يناديه ، ويغريه بالاتجاه إليه ، فارتفعت فرقعة الأصابع ، وصفر كل منهم بفمه بطريقته الخاصة .

وترددت النداءات :

ـــ بوبى .. بوبى .

ووقف الكلب حائرا ، يدير رأسه يمينا وشمالا ، وقالت نبيلة :

ـــ بلاش نقول له « بوبى » نسميه اسم تانى .

فقالت أحلام وقد وضعت سبابتها على خدها :

ـــ نسميه إيه ؟

وشردت ببصرها تفكر ، وهى تعض شفتها السفلى بأسنانها ، وقال سامى :

ـــ نسميه جلجل .

والتفت إلى أحلام ، وضحك ضحكة ساخرة ، فنهرته نبيلة قائلة :

ــ بلاش قلة أدب .

وتوردت وجنتا أحلام ، والتفتت إلى سامى غاضبة ، وقالت فى غيظ :

ــ ح نتخافف ؟

وقال عاطف :

ــ نسميه « عاطف » .

وضحك الأولاد ، وقالت سوسن وهى تضحك ، لتعلن الجميع أنها فهمت سبب ضحكهم :

ــ يعنى عاطف كلب .. يعنى عاطف كلب .. هى هئ .. هى هئ .

وقالت نبيلة وهى تفرقع بأصابعها :

ــ نسميه سوزى .

فارتفعت الأصوات تنادى :

ــ سوزى . سوزى .

واختلطت الأصوات بفرقعة الأصابع ، وصفير الأفواه ، والكلب يبصبص بذنبه ويتلفت ، ثم يتقدم إلى أحلام .

وحملته أحلام فى فرح وضمته إلى صدرها ، وصاح الأولاد جميعا وهم يضحكون :

ــ أحلام ح تنجح السنه دى .

وأسرعت إليها سوسن تضمها فى فرح لتعلن سرورها بنجاحها ،

وقالت أحلام وقد توجت شفتيها بسمه عذبة :

ـــ ح انجح فى آنى امتحان ؟

ورنت إليها نبيلة رنوة ذات مغزى ، وقالت لها :

ـــ هو ضرورى تنجحى فى الامتحان ، أهو ح تنجحى والسلام .

وعلا بكاء هالة على ضجيج الأولاد ، فنادت الأم :

ـــ نبيلة ، تعالى خدى أختك لعبوها ، واللا يعنى مش ح تحصل الكلب !

وقالت نبيلة :

ـــ مراد ، هات هاله والنبى .

فأسرعت سوسن تهرول إلى الردهة وتقول :

ـــ أنا اللى ح اجيبها .

وانطلقت إلى حيث كانت أمها جالسة على الأريكة ، وحملت هالة ، ثم عادت بها ، فقال سامى :

ـــ حطوها مع الكلب لما نشوف ح تعمل إيه ؟

فقال مراد معترضا :

ـــ لأ ، ح اقول لماما .

ولم يأبهوا لاعتراضه ، ووضعوا هالة والكلب فى وسط الدائرة ، واشرأبوا بأعناقهم ينظرون .

وتمسح الكلب بها ، ومدت يدها تجذبه من شعره ، فانطلقت صيحات الرضا ، وراحوا يزحفون على ركبهم يضيقون الحلقة ، حتى

ينعموا بمراقبة الغزل الدائر بين هالة وسوزى .

وخرج الأب من الحمام ، يلف حول عنقه فوطة مبتلة وقرع أذنيه صياح الأولاد ، فسأل زوجته :

ـــ إيه الزيطه دى ؟

ـــ زيطة أولادك اللى بتدلعهم ، بيلعبّوا الكلب ، يا راجل كش فيهم خليهم يوطوا حسهم .

ـــ وانتى ما كشتيش فيهم ليه ؟

ـــ طول عمرى بكش فيهم لوحدى لما بقيت العدوه ، روح انت ربيهم مره .

وانطلق فى عزم إلى حيث كانوا يلعبون ، وزوجته تنظر إليه ، وقد أصاخت السمع ، ووضعت القميص الذى كانت ترتقه جانبا .

ووقف عند باب الغرفة ينظر ، فرأى هالة تجذب الكلب من أذنه وتحاول أن تضعها فى فمها ، فاحتلت وجهه بسمة عريضة ، ودغدغت أذنيه ضحكات أبنائه ، فاستشعر مشاعر رقيقة تنبثق فى أعماقه ، وتقدم مسرورا يشاركهم حبورهم .

وركع على ركبتيه ، وأبعد « الفوطة » عن عنقه ، وراح يفرقع بأصابع يديه فى توافق عجيب كأنما يدق لحنا راقصا .

وبدأت سوسن تتمايل على الأنغام ، وتشجع مراد وراح يصفق لها على الوحدة ، ولم ينهره أبوه ، فصفقت نبيلة وأحلام وسامى معه ، وأسفر تمايل سوسن عن وجهه الحقيقى ، فإذا بها ترقص وتميل برأسها إلى

الخلف ، حتى مس شعرها كعبها ، وبطنها فى حركة دائبة .

وجلجلت ضحكات ناعمة ، وتعالت الأصوات ، وقرع ذلك أذن الأم فقطبت جبينها وجذبت القميص الذى تحته فى عصبية ، ثم استأنفت رتقه وتثبيت أزراره .

وتتابع رنين جرس الباب فانقطع التصفيق وفرقعة الأصابع وتوقف الرقص ، ومد الأب يده وأخذ الفوطة ووضعها على كتفه وهم بالانصراف ، وأسرع مراد إلى الباب يفتحه .

وقال مراد :

ـــ أهلا جلال .

ومس صوت جلال أذنى الأب وهو يقول « أهلا بيك » فوسع فى خطوه ، حتى دنا من زوجه وهمس :

ـــ جلال جه .

فقالت وهى تنهض :

ـــ يا ريته كان جه من بدرى وشافك وانت بترقص العيال .

ووقفت أحلام تصلح هندامها ، وراحت نبيلة تمرر يدها على شعرها وفى عينيها قلق ، وحمل عاطف كلبه وجرى إلى غرفة الاستقبال حيث دخل جلال .

وقالت أحلام لسامى :

ـــ احمل هاله .

ـــ وانا مالى .

وغادر الغرفة ليرتدى ثيابه ، والتفتت أحلام إلى سوسن وقالت :

ـــ سوسن شاطره . احملى أختك .

فقالت وهى تهز كتفيها :

ـــ وانا مالى .

ـــ احمليها وح اديكى قرش .

ـــ هاتى قبله .

ـــ روحى خديه من شنطتى .

ولم تنتظر حتى تحمل سوسن هالة ، بل انسابت مرحة إلى غرفة الاستقبال وفى أثرها نبيلة .

كان جلال يداعب الكلب ، وعاطف ينظر إليه مسرورا ، بينا راح مراد يفتح الشبابيك ، واقترب عاطف من جلال وقال له :

ـــ عجبك الكلب ؟

فقال جلال وهو يعبث فى رأس الكلب :

ـــ لطيف خالص .

فقال عاطف وقد لمعت عيناه خبثا :

ـــ طب ادى له قرش يشترى بيه بسكويت بقى .

وسمعت أحلام ونبيلة ما قاله عاطف ، فوقفت أحلام وأطرقت خجلا ، ووضعت يدها على فمها ، ودفعتها نبيلة فى ظهرها تحثها على التقدم ، وهى تبتسم ، وصاح مراد فى أخيه :

ـــ امش اطلع بره ، بلاش قلة أدب .

وقال له جلال :

ــ ما تسيبه ، دا صاحبى .

ووقف جلال ومد يده فى جيب بنطلونه ليخرج القرش ، وإذا به يلمح أحلام مقبلة ، فيمد يده مصافحا ؛ ثم يصافح نبيلة ويشغل بحديثهما عن عاطف .

وجلس جلال والكلب فى حجره ، وأصابعه تتخلل شعره فى حنان ، وقد تعلقت عيناه بوجه أحلام .

ورمق عاطف أحلام ونبيلة فى غيظ ، عطل دخولهما حصوله على القرش ، ورمى جلال بنظرة شزراء ، ثم هجم عليه ينتزع الكلب منه ويقول :

ــ طب هات الكلب بقى .

فقال جلال وهو يقف ويمد يده فى جيبه :

ــ إنت زعلت ؟ لك حق . خد القرش أهه .

فقالت أحلام فى عتاب :

ــ ما تعلموش على كده .

فقال مراد وهو يطوح يده فى يأس :

ــ هو لسه ح يتعلم ، ما خد على كده وخلاص .

ودخلت زينب وصافحت جلال وقالت لمراد :

ــ افتح الشباك اللى ورا جلال ، النهارده حر .

فقال جلال منتهزا هذه الفرصة :

ــ بلاش تعب ، احنا ح نخرج نتمشى ع النيل شويه ، يا للا

يا أحلام .

واتسعت عينا الأم ، وثارت دماؤها ، ولكنها كبحت جماح عواطفها وقالت فى صوت مضطرب جاهدت أن يكون طبيعيا

ـــ طب استنى لما تشرب حاجه .

ـــ لا معلش .

ـــ استنى حسين جاى .

وقامت نبيلة وتظاهرت بأنها تصلح ضلفة الشباك ، ورمت ببصرها . كانت ترجو أن ترى السيارة واقفة ، وأن تلمح شفيقا فيها ، ولكنها رأت الطريق خاليا ، فانقبض صدرها ، وعادت إلى مقعدها مطرقة .

وانصرفت الأم ، وانطلقت إلى زوجها ثائرة ، وقالت له :

ـــ سمعت ؟ عايز ياخدها ويخرج .

وقال الأب فى بساطة وهو يرتدى جاكتته :

ـــ وفيها إيه ؟

ـــ وفيها إيه ازاى ؟ يخرجوا لوحدهم ؟

ـــ مش قارى الفتحه ودفع المهر ؟

ـــ والله ما يخرجوا لوحدهم ولو اتكتب الكتاب ، ما يخرجوا إلا بعد الدخله .

ـــ وح تعملى إيه دلوقت ؟

ـــ ح اتصرف .

وعادت إلى غرفة الاستقبال ، ولكنها لم تدخل ، بل وقفت بعيدا بحيث يراها مراد ، ولا يراها جلال ، وجعلت تشير بيدها لمراد أن تعال .

وقال مراد بصوت عال دون أن يتحرك :

— إيه . فى إيه ؟

ووضعت أصبعها على شفتيها تأمره أن يلزم الصمت ، ثم عاودت الإشارة له بيدها ، فذهب إليها وهو ضيق بها ، وما إن وصل إليها حتى همست له :

— روح البس هدومك عشان تخرج مع أحلام وجلال : قوام .

وهرول إلى غرفته ، وفتح درج « الشوفنيير » وبحث عن قميص نظيف له ، فلم يجد فأخذ قميصا من قمصان سامى ، ولمحه سامى وهو يسرح شعره ، فقال له :

— سيب القميص ده .

فقال مراد .

— ما عنديش قمصان . كل قمصانى اتوسخت .

وأسرعت الأم إليهما وقالت لسامى الذى انتزع القميص من يد أخيه :

— خليه يلبسه يا سامى .

— لا يا ستى . عشان يجيبولى نصين ؟

— إن قطعه أجيب لك غيره .

— ما ليش دعوه .

ـــ طب اديهوله واشترى لك بداله .

وقال سامي وهو يلقي بالقميص في وجه مراد :

ـــ إذا كان كده معلش .

وراح مراد يرتدي ثيابه في عجلة ، وأمه تعاونه ، ووقعت عيناها على حذائه ، فقالت له :

ـــ جزمتك وسخه قوى .. فين الورنيش ؟

فقال سامي وهو يغادر الغرفة :

ـــ لو كانوا بياكلوه ما كانش يلحق يخلص بالشكل ده .

وراحت الأم تلمع حذاءه بخرقة ، حتى إذا اطمأنت إلى مظهره ، رنت إليه لحظة وقالت :

ـــ ياما نفسي تفضل نضيف كده على طول .

وسارا إلى غرفة الاستقبال ، ودخلا . ولمح مراد كأسا على الصينية فيها شراب وردي بين الكئوس الفارغة ، فخطر له أن يتناولها ولكنه وقف مترددا ، وأحست أحلام به ، فقالت له :

ـــ اشرب الشربات بتاعك .

ورفع الكأس إلى شفتيه ، فقال له سامي :

ـــ حاسب توسخ القميص .

وابتسم الجميع إلا نبيلة فقد ظلت ساهمة ، ولاحظ جلال صمتها فقال لها :

ـــ مالك النهارده ؟ ساكته ليه ؟

وتوردت وجنتاها ، وأحست دماء حارة تتدفق فى عروقها ، وقالت وهى تمرر يدها على جبينها :

— مش عارفه مالى . عندى صداع شويه .

وقال لها أبوها :

— خدى لك اسبرنتين وكباية شاى وخشى نامى .

ونهضت لتفر من الغرفة ، خيل إليها أن العيون كلها صوبت إليها ، وأن أمرها كاد ينكشف .

وقام جلال وقال لأحلام :

— يللا .

ونظرت الأم إلى مراد ، فنهض وسار جلال وأحلام إلى جواره وانطلق خلفهما مراد . وقبل أن يصلا إلى الباب كان مراد يسير بينهما .

وأحس به جلال ، فلم يشعر بارتياح ، وكبت عواطفه وابتسم وقال له :

— جاى معانا ؟

فقال مراد فى ثقة :

— آه .

ولم تنهره أمه ، ولم يزجره أبوه ، فقال له جلال :

— تشرف .

وانطلقوا وقد تكدر صفو جلال ، وإن راح يربت على ظهر مراد ، ويمرر يده على شعره . وبلغوا الجزيرة ، وساروا فى الطريق المنساب على

ضفة النيل ، وقد أضيئت المصابيح الخافتة التى عجزت عن قهر جحافل الظلام ، وكان مراد يسير بينهما ، ويشاركهما الحديث .

وأراد جلال أن يسير مع أحلام جنبا لجنب ، فوسع من خطوه وانتقل إلى جوارها ، وإذا بمراد يندس بينهما ويفصلهما . وضاق جلال به ذرعا ، فجذبه من يده ، ونقله إلى يمينه فصارت أحلام عن يساره لا يفصل بينهما فاصل .

والتصقت كتفه بكتفها ، ومال رأساهما حتى كادا أن يلتصقا ، والتقت العيون وهمس جلال :

ـــ أحبك .

فقال مراد .

ـــ بتقولوا إيه ؟

فقال جلال فى اضطراب :

ـــ كنت باقول الجو لطيف النهارده .

فقال مراد :

ـــ أبدا . الدنيا حر موت ، أنا عارف طايقين تتلزقوا فى بعض كده ازاى ؟

وابتعد جلال عن أحلام ، وقد لمعت العيون بالبسمة التى كبتتها الشفاه !

وانطلقوا ، وما إن ابتعدوا خطوات حتى التصق الكتفان ، ومال الرأسان ، وتحدثت العيون ، وتحركت المشاعر فى الصدور ، وهمس

جلال مغازلا :

ـــ قمر .

ومست الكلمة أذنى مراد ، فقلب وجهه فى السماء وقال :

ـــ فين ده القمر ؟ مش شايف حاجه .

فقال جلال ، وهو يئد البسمة التى ولدت على شفتيه :

ـــ سألتنى أول الشهر العربى إمتى ؟ قلت لها ، لما يطلع القمر .

فنظر مراد إليه فى دهش وقال :

ـــ سألتك إمتى . أنا ما سمعتش حاجه .

وأشاحت أحلام بوجهها حتى لا يرى أخوها البسمة العريضة التى ارتسمت على وجهها ، وقال جلال ليغير مجرى الحديث ، وهو يشير إلى مركب يسير فى النيل .

ـــ شايف المركب ماشى بالليل ازاى ؟

فقال مراد :

ـــ وإيه يعنى ، ما المركب بيمشى بالليل وبالنهار .

فقال جلال :

ـــ صحيح .

وضربه على ظهره بقوة وهو يقول له :

ـــ شاطر . ما كنتش فاهم إنك كده .

ووصلوا إلى جسر التحرير ، كان يأتلق بالنور والسيارات تنساب فوقه فى صفوف ، والناس على جانبيه يتدافعون بالمناكب ، فاندسوا بين

الجموع ، وقد أتاح الزحام فرصة التصاق جلال بأحلام رغم أنف مراد .

ونادى صوت نسوى رقيق :

ـــ جلال .. جلال ..

والتفت جلال خلفه ، ثم خفف من خطوه ، ولاحظت أحلام تمهله ، فسارت فى طريقها ، ومدت يدها وأمسكت مرادا من يده .

ونظرت خلفها فألفت جلالا يحادث شابة جذابة ويبتسم ، فاربد وجهها ، وتحركت عقارب غيرتها ، ولم تطق صبرا ، فجذبت مراد من يده ، ووسعت خطاها وراحت تشق طريقها بين الكتل البشرية المتدفقة .

واشرأب جلال بعنقه فلم يجد لأحلام أثرا ، فجعل يتلفت ثم انطلق يجد فى أثرها ، ولكن أفواج الموج البشرى المتدفق على الجسر كان يعوق تقدمه .

ووصل أخيرا إلى محطة السيارات ، ولمح أحلاما ومرادا فى سيارة بدأت تتحرك فهتف :

ـــ مراد .. مراد ..

وأشاحت أحلام بوجهها عنه فى غضب ، فضرب كفه بقبضة يده فى حنق ، وعقد العزم على أن يتركها الليلة لغيرتها تؤرقها وتنهش صدرها .

وعادت أحلام إلى الدار ، واتجهت إلى غرفتها حانقة ، وفطنت أمها إلى غضبها ، فخفت إليها وقالت لها :

ـــ رجعتى لوحدك ليه ؟ أمال فين جلال ؟

ـــ سابنى ووقف يكلم واحده ، فته وجيت .

ـــ وقف يكلم واحده ، إزاى ده ؟

ـــ أهو ده اللى حصل .

ـــ ماتزعليش نفسك ، بس لما ييجى .

وبدأت أحلام تخلع ثيابها وتلقيها فى غضب ، وغادرت أمها الغرفة وذهبت إلى حيث كان زوجها وقالت له :

ـــ شفت جلال عمل إيه !

ونحى الرجل الصحيفة التى كان يطالعها وقال :

ـــ عمل إيه ؟

ـــ ساب أحلام ووقف يكلم واحده .

ـــ وعملت إيه أحلام ؟

ـــ فاتته وجت .

ـــ غلطانه .

ـــ غلطانه ازاى ؟ أمال كنت عايزها تعمل إيه ؟!

ـــ تستنى لما تشوف مين ده ، مش يمكن قريبته ، واحده من معارفهم ؟

ـــ بس لما ييجى .

ـــ حتعملى له أيه ؟

ـــ ح افرجه .

— مالكيش دعوه .. سيبيهم هم يصفوا مشاكلهم من غير ما حد يتحشر بينهم ، بكره ح يبان لك إنها حكايه هايفه .

— هايفه ! بكره ح تشوف .

وتحركت لتغادر الغرفة ، ثم وقفت قليلا ساهمة ، خطرت لها فكرة ، فأغذت السير إلى حيث علق زوجها ثيابه ، وراحت تعبث فى جيوبه ، وتقلب فى أوراقه وهى تغمغم :

— مين عارف . يمكن . ! الرجاله كلهم خاينين وعينهم فارغه ومالهمش أمان .

الفصل الثانى عشر

أطفئت الأنوار ، وساد الظلام ، ونام حسين وزوجته وأولاده ، وبقيت أحلام مسهدة ، لا يمشى الوسن إلى جفنيها ، ولا يغادر القلق صدرها ، ولا يهدأ لها بال ، ولا يستقر لها قرار . كانت تتقلب فى فراشها تقلبها على جمر ، ما أن يمس جنبها الأيمن الفراش حتى تدور وتستلقى على ظهرها ، ثم تكمل دورتها لتنام على جانبها الأيسر ، وسرعان ما تعود سيرتها الأولى .

وكانت تحكم الغطاء عليها ، وتغطى وجهها ، وما تلبث أن تدفعه بيدها ، ثم ترفسه بقدمها ، ثم تعود وتجذبه بيدها وتسدله على جسمها القلق المحموم .

وكانت نبيلة ترقبها فى صمت ، وخطر لها أكثر من مرة أن تحادثها لتنتشلها من ذلك القلق المضنى ، ولكنها كانت تتريث لعلها تهجع وتروح فى سبات ، وظلت أحلام فى عذاب ، فلم تطق صبرا ، وقالت وقد رفعت رأسها عن الوسادة ورمت ببصرها إليها :

ـــ معذبه نفسك كده ليه ، الموضوع بسيط خالص .

ودفنت أحلام وجهها فى الوسادة ، وشهقت ، فمدت نبيلة يدها وأضاءت الأباجورة ، ثم اتجهت إلى سرير أحلام وجلست على حافته ،

وقالت :

ــ قولى لى : بتفكرى فى إيه ؟.

فقالت أحلام وهى تبكى :

ــ يسيبنى ازاى وانا ماشيه معاه ويكلم واحده تانيه ؟

ــ وفيها إيه يعنى ؟ ما استنتيش ليه لما يرجع ويشرح لك كل حاجه : غرتى قوام ! خليتى لبتوع زمان إيه !.

ومالت نحوها ، وقالت وهى تمرر يدها على ظهرها :

ــ عايزه الحق . إنتى غلطانه .

وأجهشت أحلام بالبكاء ، فقالت لها نبيلة :

ــ بتعيطى ليه دلوقت ؟

ــ عشان عارفه ان أنا غلطانه .

ــ خلاص ، مدام معترفه انك غلطانه ، كل حاجة ح تبقى سهل ، لما ح ييجى بكره ح تتصلح كل حاجه .

والتفتت أحلام إليها وقالت فى لهفة :

ــ تفتكرى ا نه ح ييجى بكره ؟

فقالت لها نبيلة وهى تهز رأسها :

ــ بقى عشان كده بتعيطى ! اطمنى . ح ييجى . أمال ح يروح فين ؟

وجلست أحلام فى فراشها وقالت :

ــ إن جه ح اعتذر له ، ح اقوله انى غلطانه ، ومش ح اعمل كده

تانى .

قالت لها نبيلة :

ـــ إياكى تعتذرى له ، مثلى عليه . اعملى انك زعلانه لغاية ما يعتذر لك عشان ما تبقيش انت اللى غلطانه .

وابتسمت أحلام على الرغم من الدموع المترقرقة فى مآقيها وقالت وهى تدفع نبيلة فى صدرها فى حنان :

ـــ اتعلمتى الحاجات دى فين ؟

فقالت نبيلة فى غرور :

ـــ الحاجات دى ما تتعلمش . نتولد بيها . خليكى تقيله .

ونامت أحلام وسحبت نبيلة عليها الغطاء ، ثم أطفأت نور الأباجورة واندست فى فراشها ، واستغرقت فى النوم .

وأصبح الصباح ، ودبت الحياة فى الشقة ، وراح الأولاد يهرولون ويصيحون قبل أن يغادروا الدار إلى المدرسة ، وحملت نبيلة حقيبتها وأسندتها على عجزها ، وقبل أن تنصرف ألفت أحلام تملأ القلل وهى ساهمة ، فدنت منها وقالت :

ـــ والله ح ييجى . بس مش ح ييجى الصبح . ح ييجى لما يخلص شغله .

وغادرت المطبخ وهى تصيح :

ـــ ماما .. ح اتأخر العصر ، عندنا بروفه لحفلة التمثيل .

وقالت الأم وهى تقوم بلم ما بعثره الأولاد قبل خروجهم من ملابس

وأوان وفتات خبز وقصاصات ورق :

ـــ والله ما انا عارفه التمثيل ده لزمته إيه !

ولم تحفل نبيلة باعتراضها ، وانطلقت كالطيف على أطراف أصابع قدميها ، ودوى فى أذنيها صوت بوق السيارة ، فقالت وهى تجرى :

ـــ أنا نازله . العربيه جت .

وصفق الباب خلفها .

وخلت الشقة من الأب والأولاد ، ولم يبق بها إلا الأم وأحلام وهالة ، أما عاطف فقد كان فى طوافه اليومى على شقق الجيران .

وانتهت أحلام من عملها اليومى الرتيب ، وبدأت فى كى ثوب من ثيابها ، واقتربت أمها منها وهى تحمل هالة وقالت لها :

ـــ لما ييجى جلال أنا اللى ح اخش له .

فقالت أحلام ، وقد رفعت المكواة عن الثوب :

ـــ ليه ؟

ـــ مش ح تعرفى تكلميه ، أنا اللى ح اعرف أكلمه .

وخشيت أحلام أن تجرح أمها شعوره ، أو تسىء إليه من حيث لا تدرى ، وتسبب لها المتاعب فقالت لها :

ـــ أرجوكى يا ماما تسيبى الموضوع ده ليه .

فقالت لها أمها فى تهديد :

ـــ بقى اسمعى . لو قرش ملحتك مره ، ح يقرشها على طول . ح تبقى هفيه .

— ما تخافيش .

وراح الوقت يمر وئيدا وئيدا ، وعاد الأولاد من مدارسهم ، وجاء الزوج . ومالت الشمس للمغيب ، ولم يأت الحبيب ، فطفقت أحلام تغدو وتروح فى الشقة فى قلق شديد ، كانت كلما سمعت صوت وقوف سيارة تهرع إلى النافذة تنظر وهى تأمل أن يكون جلال جاء فى رفقة شفيق ، ولكن سرعان ما يتبدد الأمل ، ويستبد بها يأس مرير .

ودق جرس الباب الخارجى ، فخفق قلبها فى شدة ، ولفها اضطراب ، وراحت دماؤها تتدفق حارة فى عروقها ، وخفت إلى الباب ووقفت لحظة تصلح هندامها وشعرها ، ثم مدت يدها تفتح الباب فى تؤدة ، كانت أشبه بمقامر يفحص ورقه فى حرص ، خشية أن يفجع فيه .

ولمحت جلالا ، فاشتد وجيب قلبها ، وربما اضطرابها واحمرت وجنتاها ، ولكنها فتحت الباب على مصراعه وقالت فى فرح :

— أهلا وسهلا .. اتفضل .

وذهب إلى غرفة الاستقبال ، وقال جلال قبل أن يجلس :

— تقدرى تقولى لى مشيتى امبارح ليه ؟

فقالت فى اضطراب :

— يعنى ما انتش عارف ؟

— لأ مش عارف .

— لما لقيتك سبتنى ومشيت اضطريت أمشى .

— سبتك ومشيت ؟!

ــ بصيت ما لقيتكش جنبى . ما قلتليش رايح فين ..

ــ هو انتى استنتينى علشان أكلمك .

ــ كنت اقف فين والناس عماله تزق فى بعضها ؟

ــ طب ولما ندهت عليكو وانتو فى الأتوبيس وديتى وشك الناحيه التانيه ليه ؟ أنا مش فاهم إيه اللى زعلك .

ــ عايزنى أفرح لما تسيبنى وتكلم واحده تانيه ؟

ــ ما تقوليش سبتك ، واحنا ماشيين واحده كانت زميلتى فى الجامعه شافتنا ، ندهت علىّ يا دوب رحت لها ، والتفت علشان أقدمها لك ، بصيت مالقتكيش .

ودنا منها وقال لها :

ــ مشيتى ليه ؟ غرتى !

فقالت وهى تشيح بوجهها عنه فى دلال :

ــ اللى بيحب لازم يغير .

ثم عادت ونظرت إليه فى إغراء ، وتعطلت لغة الكلام وتخاطبت العيون ، فلف ذراعه حولها وقبلها قبلة طويلة حارة .

وأقبلت سوسن ورأتهما وهما يتعانقان ، فصاحت وهى تهم بالعدو :

ــ ماما .. ماما .. الحقى .

وانفصلا فى فزع ، وفى مثل لمح البصر جرى جلال خلفها حتى لحق بها ، فأمسكها ووضع يده فى جيبه وأخرج قطعة نقود ، دسها فى راحتها وقال لها :

ـــ خدى اشترى حاجه .

وفتح الباب ودفعها منه ، وضربها على مؤخرتها ، ثم أغلق الباب وعاد إلى غرفة الاستقبال وهو يزفر فى راحة .

وجاءت الأم تسعى ، وخلفها زوجها ، ودخلا غرفة الاستقبال فألفيا أحلاما وجلالا يتناجيان فى ود ، فصافحا جلالا وجلسا ، وراح الزوج ينظر إلى زوجه وعلى شفتيه بسمة ، وفى عينيه كلام ، لو ترجم لكان : « مش قلت لك . ماتتحشريش بينهم ، سبيهم يصفوا مشاكلهم لوحدهم . شفتى ! جالك كلامى ! » .

وراح جرس الباب يرن رنينا متصلا ، فقالت الأم :

ـــ نفسى سوسن ما تحطش إيدها ع الجرس على طول ، هى فاكره البوابين واقفين ورا الباب ؟

وسمع صوت فتح الباب ، واندفاع سوسن وهرجها ، وما أن وصلت إلى الغرفة حتى صاحت :

ـــ ماما .. ماما الحقى .

واتسعت عينا جلال رعبا،وأطرقت أحلام خجلا،ثم قامت لتغادر الغرفة قبل أن تشى سوسن بها ، واستشعرت عرقا باردا يتفصد من وجهها ، وخيل إليها أن لونها قد غاض ، وقالت الأم :

ـــ فيه إيه ؟

فقالت سوسن :

ـــ عاطف شحت برتقاله من الجيران .



مش قلت لك : ما تتحشريش بينهم ..

وارتمت أحلام فى مقعدها ، وزفر جلال فى راحة ، وهو يوسع خناق الكرافاتة ، وأقبل عاطف وهو يحمل البرتقالة ، وقال فى صوت ثابت ، لا أثر للخوف عليه :

ـــ أنا ما شحتش .

وقال له أبوه :

ـــ أمال مين ادهلك ؟

ـــ هم ماادوهاليش كده .

ـــ أمال ادوهالك ليه ؟

ـــ عشان جبت لهم سجاير .

فابتسم جلال وقال :

ـــ مايبقاش شحتها ، خدها أجرة المشوار .

وجلست سوسن ، وراحت تنقل بصرها بين جلال وأحلام ، ثم تضحك وتخفى وجهها فى راحتيها ، وخشيت أحلام أن تسألها أمها عن سبب ضحكها . فتبوح بالسر الذى تشتهى أن يكشف ستره ، فأشارت إليها بيدها أن تأتى ، فذهبت إليها ، فأسرت أحلام فى أذنها أن فى درج ملابسها قطعة شيكولاتة عليها أن تأخذها على ألا تعود حتى ينصرف جلال .

ودوى صوت كلاكس سيارة ، فقال جلال :

ـــ ده شفيق إيه اللى جابه ؟

فقال حسين وهو ينهض :

ــ خليه يتفضل .

ولم يتحرك جلال ، وأسرع حسين إلى النافذة المطلة على الطريق . وأطل منها وقال :

ــ اتفضل .

وقال شفيق وهو فى السيارة :

ــ جلال موجود ؟

ــ أيوه . اتفضل .

وصعد شفيق ، وقال لجلال وهو يصافح الموجودين :

ــ رحت لك البيت مالقتكش ، سألتهم رحت على فين ، قالوا ما يعرفوش ، قلت لروحى ضرورى ح ييجى على هنا . ح يروح فين ؟ الرجل تدب مطرح ما تحب .

وجلس شفيق وضحك حسين وقال :

ــ إنت غاوى أمثال انت راخر ؟

فقال شفيق :

ــ ده المثل الوحيد اللى اعرفه .

وراح شفيق يقلب عينيه فى المكان ، ويشرئب بعنقه ويمد بصره إلى الردهة ، كان يبحث عن نبيلة ، وهمّ أكثر من مرة أن يسأل عنها ، ولكنه كان يكبح جماح نفسه .

ولاحت نبيلة فى الطريق مقبلة ، وقد وضعت حقيبة كتبها على عجزها ، ولمحت سيارة شفيق من بعيد ، فجعلت تتفرس فيها ، حتى إذا

ما تيقنت منها وسعت من خطوها ، ولو طاوعت نفسها لراحت تعدو فى الطريق .

وبلغت الدار ، فألقت على السيارة نظرة ، ثم دلفت إلى مدخل السلم ، وأخذت تصعد فى الدرج قفزا ، ووجدت باب الشقة مفتوحا فانسابت منه إلى غرفة الاستقبال .

وتريثت قليلا تلتقط أنفاسها ، وأخرجت من حقيبتها مشطا وراحت تسرح به شعرها ، ثم تقدمت وقالت :

ــ السلام عليكم .

فقال جلال وشفيق :

ــ وعليكم السلام .

وتقدمت تصافحهما ، صافحت جلال فى عجل ، وبقيت يدها فى يد شفيق برهة ، وقالت الأم :

ــ جيتى بإيه ، يعنى ما سمعناش صوت عربية المدرسة ؟

ــ جيت فى الأتوبيس ، مش قلت لك الصبح عندنا بروفه لحفلة التمثيل ؟

ــ لو قلتى انك ح تيجى فى الأتوبيس كنا بعتنا لك سامى .

ــ وفيها إيه يا ماما لما آجى لوحدى فى الأتوبيس ؟

ــ يا بنتى ما بقتيش صغيره .

ووجد شفيق الفرصة سانحة ليشترك فى الحديث ، فقال :

ــ أمال لما ح تروح الجامعه ح تروح فى إيه ؟

فقالت الأم فى استنكار :

ــ الجامعه ! كلها السنه دى وتقعد فى البيت .

فقال شفيق فى ارتياح :

ــ أحسن .

فقالت نبيلة :

ــ أنا لازم اروح الجامعه ، وابقى دكتوره . ما تتكلم يا بابا .

ــ ناخذ رأى الموجودين . إيه رأيك يا جلال ؟

فقال جلال وهو ينظر إلى أحلام :

ــ أنا رأيى قلته عملى .

وابتسمت أحلام ، وسرت الأم ، كانت تحسب أن الأمر لا يخرج عن معركة بينها وبين ابنتها ، ينبغى أن تفوز فيها تحفظ كرامتها .

وقال الأب :

ــ وانت يا شفيق رأيك إيه ؟

ــ أفضل فى البيت واحده عنيها حلوه ، اتعلمت كفايه ، عن دكتوره عنيها مضعضعه ونضاره تخن كده .

وبالغ فى سمك النظارة عندما أشار بأصبعيه ، حتى أن نبيلة ابتسمت ، على الرغم من أن الرد لم يكن فى صفها .

وقالت :

ــ ضرورى كل دكتوره تكون لابسه نضاره تخن كده !

وأقبل سامى وهو يحمل الكلب على ذراعه ، ووقف بعيدا يصغى إلى

الحديث الدائر ، وقال شفيق :

ـــ إن ما كانتش نضارتها تخن كده بيكون وشها كرمش ، شوفى بتقعد كام سنه فى الكليه .

وقال جلال :

ـــ من رأيى يعملوا كشف هيئه على البنات اللى تروح الجامعه ، وما يسمحوش إلا بدخول الوحشين بس ! .

فقال سامى لنبيلة :

ـــ خلاص . ضمنتى إنك تخشى الجامعه .

والتفتت نبيلة إليه فى غضب وقالت :

ـــ إيش حشر العيال فى الكلام ده ؟

فقالت الأم فى زجر :

ـــ وبعدين معاكو .. لازم تتناقروا . روحى يا نبيلة غيرى هدومك وتعالى .

وغادرت نبيلة الغرفة وهى تنظر إلى سامى شذرا ، وانطلقت إلى غرفتها ، وراحت تخلع ثيابها ، وترتدى ثوبا أخاذا ، وقبل أن تكتمل زينتها تذكرت شيئا ، فأسرعت إلى غرفة الاستقبال وشعرها منفوش ، وقالت :

ـــ بابا ، حفلة التمثيل بعد بكره ، ضرورى تحضرها .

فقال الأب :

ـــ يا ريت ، مش فاضى ورايا شغل .

فقالت نبيلة فى عتاب :

ـــ هو كل سنه ما يحلاش الشغل إلا يوم حفلة التمثيل ؟

ـــ عندى لجنة .

فالتفتت إلى أمها وقالت : وانت يا ماما وراكى إيه ؟

ـــ ولا حاجه .

فقالت نبيلة فى فرح : خلاص . ح تيجى أنت وأحلام وجلال .

ثم التفتت إلى شفيق وقالت :

ـــ وانت .

فقال شفيق :

ـــ حاضر .

ـــ الحفله ح تبتدى الساعه اربعه .

وقال شفيق وهو يلتفت إلى الأم :

ـــ أفوت عليكو أنا وجلال الساعه تلاته ونص .

فقالت الأم :

ـــ لأ تيجو تتغدوا معانا وننزل سوا .

فقال جلال :

ـــ معلش . اعفونا من حكاية الغدا دى .

فقال شفيق :

ـــ لأ . ح نيجى نتغدى بس بشرط .

فقالت الأم :

ـــ إيه هو ؟

فقال شفيق :

ـــ انكم تيجوا كلكم معايا العزبه يوم الجمعه ، نقضى اليوم كله هناك .

فقال الأب فى استنكار :

ـــ نيجى كلنا ؟؟ إزاى ؟ .

ـــ المسافه قريبه ، ح افوت عليكم الساعه سبعه الصبح وآخدكم فى العربيه .

فقال الأب فى سخرية :

ـــ با ـ اعقل ، مالك ومال الشبكه دى ؟

فقال شفيق وهويبتسم :

ـــ أنا وأنا بكامل عقلى ، باعزمكم يوم الجمعه ومصمم على العزومه دى .

فقالت الأم وهى تهز كتفيها :

ـــ إيه . ذنبك على جنبك .

وقال الأب :

ـــ على نفسها جنت براقش .

الفصل الثالث عشر

شرعت الأم فى دس قدمها فى الجورب النايلون ، وراحت تعالجه فى حرص شديد ، كأنما نسج من خيوط العنكبوت ، ولما تم لها لبسه ، انتصبت واقفة ، ودارت بعجزها ونظرت لتطمئن إلى استقامة خط الجورب الخلفى ، وإذا « بسوزى » يقفز من فوق السرير ، ويهرع إليها ويشب على ساقها فتنشب أظافره فى الجورب وتمزقه ، فدفعته بقدمها فى غيظ وهى تقول :

ــ كنا ناقصينك انت راخر .. يا سامى ..، يا مراد .. تعالوا خدوا الكلب ده من هنا .

وأقبل سامى ، وقال :

ــ فيه إيه يا ماما ؟

ــ خد الكلب ده اللى من يوم ما جه ما شفنا يوم راحه .

فقال سامى وهو ينحنى ليحمله :

ــ عمل إيه بس ؟ دا راجل طيب .

فقالت وهى تخلع الجورب وتنظر فيه :

ــ قطع الشراب اللى لسه تمنه ما بردش ، وامبارح طلع قطن الكنبه ، وأول امبارح نزل الشارع مع عاطف جه وسخ البياضات كلها ، وما زاد

وعاد إلا نومته على السرير على طول ، هى بقت شقتنا ، دى بقت شقة أبوه .

وجاء حسين وقال :

ـــ أبوه مين بس ؟ هو فيه أبو حد هنا غيرى ، ياللا ، انتى لسه ما لبستيش ؟ الناس قلقوا .

فقالت وهى تشير فى غيظ إلى الكلب :

ـــ ما هو السبب ، هو اللى عطلنى .

ـــ دا انتى بتلبسى من بعد الغدا ، الساعة بقت تلاته ونص ، فاضل نص ساعة ع الحفله .

ـــ أنا خلصت أهو .

والتفتت إليه وقالت :

ـــ إنت ح تنزل امتى ؟

ـــ الساعه سته .

ـــ طب إن صحيت هاله لبنها عندك فى الثملية ، ولما تيجى تخرج سلمها لسامى .

وتلفتت وقالت :

ـــ أمال فين مراد ؟

فقال سامى :

ـــ بيذاكر .

ونادت الأم :

ـــ مراد .. مراد .

وجاء مراد وفى يده كتاب إنجليزى وفى خده وشفتيه أثر حبر ، فقالت له :

ــ أنا مش فاهمه ، إنت بتشرب الحبر ؟ إيه الحبر دا اللى فى بقك ؟.

فقال وهو يمسح فمه بيده :

ــ كنت باحل الحساب ، وأنا بافكر نسيت وحطيت سن القلم فى بقى .

واقترب خطوة وقال :

ــ تعرفى يا ماما أنا صعبان علىّ قوى الأولاد الانجليز الصغيرين .

ــ ليه ؟

فقال وهو يرفع الكتاب الإنجليزى فى يده :

ــ إزاى ينطقوا الكلام الإنجليزى الصعب ده ؟!

فقالت له أمه :

ــ ما يصعبش عليك غالى .

وقال له أبوه :

ــ والله انت اللى صعبان على .

ثم التفت إلى الباب وقال :

ــ واللى مستنيين بره صعبانين على روخرين .

فقالت الأم :

ــ أنا خلاص لبست آهه .. خلى جلال وشفيق وأحلام يسبقونى ع العربيه ، وأنا نازله على طول . وانت يا سامى خد أخوك وع المطبخ

اغسلوا الاطباق ، وشيلوهم محلهم .

فقال سامى :

ـــ أمال ح نذاكر إمتى ؟ ما تجيبوا لكم خدامه تغسل الاطباق وتكنس وتمسح .

فقالت الأم :

ـــ إن جبنا بنت ح ندفع لها أجرتها م الفلوس اللى بتروحوا بيها السينما ، واللى بتركبوا بيها عجل .

فقال مراد وهو يضع كتاب الإنجليزى على التواليت :

ـــ لا . دا احنا نغسل الاطباق قوى ، ونلحسها بلسانا كمان .

وخرج سامى ومراد من الغرفة ، وسمع صوت مغادرة أحلام وجلال وشفيق الشقة ، والتقى الوالد ومراد وسامى فى المطبخ ، وإذا بالأوانى والصحاف والشوك والسكاكين والأكواب مكدسة فى انتظار من يتفضل بغسلها .

ووضع سامى الكلب على الأرض ، فأسرع يلعق الصحاف ، وارتدى سامى « فوطة » المطبخ ، وشمر عن ساعده ، بينما راح مراد يحمل الأوانى على صدره ، دون أن يحفل بثيابه .

وجاء عاطف يصيح ، وفى يده غصن شجرة ، يضرب به الأرض :

ـــ جلال وأحلام رايحين فين ؟ أروح معاهم .

خرجت الأم من غرفتها بعد أن اطمأنت إلى أناقتها ، والتقت بعاطف فى الردهة ، وما إن وقع نظره عليها حتى قال :

— وانتى خارجه معاهم ؟ وأنا ح اروح معاكم .

فقالت له الأم وهى تبعد يديه عن ثوبها :

— خليك هنا ، وح اجيب لك حاجه حلوه .

— ح تجيبى لى إيه ؟

— ح اجيب لك عروسه .

— لأ . أنا مش عايز عروسه ، أنا عايز عريس زى أحلام .

فقالت له وهى تبتسم :

— إنت راجل . تيجى لك عروسه .

— لأ . أنا عايز عريس ، عريس يركبنى أتومبيل .

— طيب . بس اسكت ..

وهمت بالخروج ، وإذا به يعترض طريقها وقد بسط ذراعيه يحول بينها وبين السير ، وغصن الشجرة يسد الطريق :

— مش ح تنزلى إلا لما تدينى قرش قبله .

وفتحت حقيبة يدها ، وأخرجت منها قرشا ودفعت به إليه وانطلقت فى سبيلها ، وهى تنظر إلى المطبخ وترى زوجها وسامى ومراد منهمكين فى غسل الأوانى والأدوات .

وهبطت إلى الطريق ، وتقدمت إلى السيارة ، فإذا بجلال قد جلس خلف عجلة القيادة وأحلام إلى جواره ، ووقف شفيق عند الباب وقد فتحه ينتظر ركوبها ، فصعدت إلى المقعد الخلفى ، وصعد شفيق فى أثرها ، ثم انطلقت السيارة بهم .

وبلغوا المدرسة ، وراحوا يصعدون فى درج دائرى ، ورأت الطالبات أحلام فخف إليها بعضهن يصافحنها ، وإن كانت عيونهن تتفرس فى جلال وشفيق .

ودلفوا إلى قاعة واسعة ، أقيم المسرح فى صدرها ، وصفت فيها كراسى خيزران ، فاتجهوا إلى الصفوف الأمامية ، والأنظار تتبعهم ، كانت الطالبات فى شوق إلى معرفة خطيب أحلام ، فلما جلست أحلام وإلى جوارها جلال ، سلطت الأنظار عليه تفحصه من قمة رأسه إلى أخمص القدم .

وراحت مدرستان تديمان النظر إليهم ، ومالت إحداهما على الأخرى وقالت :

ـــ التانى أحلى من خطيبها .

ـــ والنبى ياختى راخر شربات . ما وحش الا قلته .

ونهضت ، وراحت تصلح هندامها ، فقالت لها زميلتها :

ـــ على فين ؟

ـــ رايحه أسلم على أحلام ، واتفرج .

فنهضت الثانية وقالت :

ـــ خدينى ياختى معاكى .

وانطلقتا إلى أحلام ، فلما رأتهما ارتبكت ، وقامت تحية لهما ، وقد توردت وجنتاها بلون الورد .

وقالت الأولى :

ــ إزيك يا أحلام ؟

ــ الله يسلمك يا أبله منيره .

وقالت الثانية :

ــ سنه طويله ما حدش يشوفك ، يخونك العيش والملح .

ــ والله ما باخرجش يا أبله وداد .

وسكن اضطرابها ، فالتفتت إلى أمها وقالت تقدمها إليهما :

ــ ماما .

ــ أهلا وسهلا .

وقالت وداد متملقة :

ــ والله ما افتكرناهاش ماما ، افتكرناها أختك الكبيره !

وأرضى ذلك الملق غرور الأم ، فقالت :

ــ الناس كلها بتفتكر كده .

وقالت أحلام وهى تشير إلى جلال وشفيق :

ــ جلال والأستاذ شفيق .

ومدت المدرستان أيديهما ليتمتعا بالمصافحة ، وعيونهما تتجول فى وجهى الشابين ، وقالتا :

ــ اتشرفنا .. فرصه سعيده خالص .

وقالت منيرة :

ــ أحلام دى .. دى .. دى أختنا .

وقالت أحلام وهى تشير إلى مقعدين خاليين إلى جوارهما :

ـــ ما تتفضلوا جنبنا هنا .

ـــ متشكرين ، إنت عارفه ما نقدرش نقعد النهارده فى حته واحده ، أورفوار مؤقتا .

وانصرفتا وما إن ابتعدتا عنهم ، حتى قالت منيرة فى مرارة :

ـــ بنت امبارح بقت عروسه النهارده ، أمال احنا مالنا .

فقالت وداد وهى تمصمص بشفتيها :

ـــ قسم .

ثم رفعت بصرها إلى السقف وقالت فى ابتهال :

ـــ يا رب ارزقنا بقى بعدلنا .

فقالت منيرة :

ـــ إن شاء الله يا وداد يا اختى . من بقك لباب السما .

وراح جلال يتفرس فى المسرح ، فألفاه مكونا من موائد المطعم ، وقد شدت جوانبه بالخيش ، أما الستارة فكانت من مفارش سرر شبك بعضها إلى بعض بدبابيس إبرة ، والتفت إلى أحلام وقال :

ـــ أظن انتو ساهمتوا فى بنا المسرح ده .

فقالت أحلام وهى تبتسم وتشير بأصبعها إلى الستارة :

ـــ طبعا ! مفرش السرير التالت ده بتاعنا .

وقالت لها أمها همسا :

ـــ نفسى يا أحلام ما تشوريش بصباعك وانتى بتتكلمى .

فقالت لها أحلام :

ــ يا ماما انتى نفسك فى حاجات كتير ، مش ممكن تتعمل .

وظهر الميكروفون أمام الستارة ، فقال شفيق فى تأوه :

ــ آه . ح نشرب أكبر مقلب ، الخطبة ، نفسى يطلع قانون يحرم الخطابة فى الحفلات .

فقالت أحلام وهى ترنو إلى جلال فى حب :

ــ كلهم نفسهم مفتوحة النهارده ، عمالين يتمنوا ، ماما قالت نفسى ، وشفيق قال نفسى ، وانت ما نفسكش فى حاجه ؟

فقال وهو ينظر إليها فى حب :

ــ نفسى فى حاجات كثير قوى .

ــ نفسك فى إيه ؟ قول .

فقال وهو يرمقها بطرف عينه فى خبث :

ــ ما اقولش ، وان كنت عارف انك عارفه اللى نفسى فيه .

وأسبلت جفنيها دلالا ، ورفت على شفتيها بسمة عذبة ، واقترب رأسه من رأسها ، وإذا بصوت الناظرة فى جنبات القاعة ، فيفيقان من حلم لحظتهما .

وراحت الناظرة ترحب بالمدعوين ، فى أسلوب متحذلق . فمال شفيق على جلال وقال :

ــ أراهن إن اللى كتب الخطبه دى مدرس لغه عربيه عتيق .

فقال له جلال :

ــ أمال ح يكون مدرس انجليزى !

ـــ مش قصدى . قصدى انه مدرس يهتم باللفظ بس بيفضل اللفظ الرنان ولو شوه المعنى .

وقالت أحلام :

ـــ اللى بيكت الخطب كلها أبو الأسود الدؤلى .

ـــ يدوب كده ، باين على الخطبه إنها من أيام سيدنا على .

وضحكت أحلام وقالت :

ـــ مش أبو الأسود بتاع أيام سيدنا على ، دا الشيخ اللى قاعد هناك ده ، البنات مسميينه كده .

ونظر جلال وشفيق إلى حيث أشارت أحلام ، فإذا بشيخ معمم يصغى إلى الناظرة فى انتباه ، وهو يهز رأسه إعجابا ، كأنما يصغى إلى مطربة ، فقال شفيق فى حماسة :

ـــ مؤكد هو اللى كاتب الخطبه دى ، لأن كل كلمه فيها لابسه عمه وكاكولا .

ـــ وانتهت الناظرة من خطبتها ، فصفق شفيق فى شدة ، وقال له جلال :

ـــ إيه الإعجاب ده ؟

ـــ ده إعجاب بأنها خلصت الخطبه .

وفتحت الستارة ، وإذا بطالبة فى ملابس « بلياتشو » فضج الفتيات بالضحك . فراحت ترقص حاجبيها ، ثم قامت ببعض ألعاب بهلوانية . وقفزت إلى أعلى ، فإذا بها ترتفع حتى وصلت إلى سقف الغرفة ، كان فى

وسطها حبل متصل ببكرة حديد قرب السقف ، فلما قفزت جذب بعض زميلاتها المختفيات خلف المسرح طرف الحبل الآخر .

وبقيت متعلقة فى الهواء ، وتحرك ساقيها وذراعيها فى حركات مضحكة ، بين ضجيج المدعوين وضحكهم .

وأغلقت الستارة ، ودوى التصفيق ، ففتحت الستارة ثانيا ، وأرخى الفتيات المختفيات خلف المسرح الحبل قليلا ، ثم جذبنه ثانية فبدت الفتاة كأنها تنحنى للمصفقين ردا على تحيتهم ثم تنتصب قائمة .

وسرى فى القاعة همهمة ، بعد انتهاء ذلك المشهد ، وارتفعت الضوضاء ، وإذا بدقات متتابعة على خشبة المسرح تعلن بدء المشهد التالى ، وفتحت الستارة وانبعثت من الفونوغراف موسيقى راقصة ، وظهرت على المسرح فتيات فى ثياب قصيرة بيضاء فبدت سيقانهن وأفخاذهن ، ورحن برقصن على الأنغام ، وحملقت الأم فيهن وهن يتمايلن ، كانت تبحث بعيونها عن نبيلة وهى مبهورة النفس ، وفى وجهها قلق وضيق .

ودخلت نبيلة المسرح وحدها تسير على أطراف أصابع قدميها لتتقدم المجموعة ، كانت فى ثوب وردى قصير غاية القصر ، وكان صدرها عاريا ، ولا يستر ساقيها وفخذيها إلا جورب أبيض قصير ، وطرف الثوب الذى كان على شكل دائرة .

وشهقت أمها فى صوت خافت :

ـــ يادى الفضيحه !

و لم يلتفت أحد إلى اعتراضها ، كان شفيق يرمقها فى إعجاب ، وقد فغر فاه ، وراح جلال يرقب الرقصة فى شغف أما أحلام فقد راحت تهز رأسها فى نشوة .

وتحركت الأم فى مقعدها فى ضيق ، وقالت :

ــ ليه نبيله تعمل كده ؟

فقال شفيق فى نبرات حالمة :

ــ مدهشه .

وتألق ضوء خاطف ، وقالت الأم فى فزع :

ــ صورها ! تبقى نايبه لو نشر صورتها فى مجله وهى بالشكل ده . مش ح تتجوز أبدا ، قوم يا جلال هات الصوره منه .. دى فضيحه .. ح يضيع مستقبل البنت ، مش ح تتجوز أبدا .

فقال شفيق ، وهو يحملق فى نبيلة ويتبعها بعينيه :

ــ اطمنى ما تخافيش ، أنا هنا .

وحسبت الأم أن شفيقا يعدها بأنه سيستولى على الصورة ويمنع نشرها ، فقالت له :

ــ ربنا يسترك .

وانتهت الرقصة ، وأقفلت الستارة ، وأقبلت المدرسات على الأم يصافحنها ويهنئنها :

ــ مبروك .. يا سلام على نبيلة . كانت مدهشة .

وراحت الأم تحملق فيهن وهى فى حيرة من أمرها ، وجاءت نبيلة

بملابس الرقص ، والفتيات يرمقنها فى حسد ، ويقلن :

ــ إيه ده كله ؟ .

وابتسمت فى زهو ، ولمحتها أمها فصاحت فيها :

ــ وجابه عريانه ؟ مش مكسوفه ؟ ياللا ع البيت ياللا .

وخف إليها شفيق وقال لها وهو يصافحها :

ــ مدهشه .. جنان .

فقالت الأم فى ضيق :

ــ صحيح جنان ، واللى يطاوعكوا يستاهل أكثر من كده .

والتفت شفيق إلى الأم وقال لها :

ــ إنت زعلانه ؟

ــ أمال عايزين أفرح ؟

ــ إيه اللى مزعلك .

ــ عاجبك كده ؟ عاجبك واقفتها عريانه ؟!

والتفتت إلى نبيلة وقالت فى عزم :

ــ نبيلة .. روحى البسى هدومك وياللا ع البيت .

وانسحبت نبيلة ، وقالت أحلام لأمها :

ــ مش ح نقعد لآخر الحفلة ؟!

فقالت الأم :

ــ ع البيت على طول .. يا نيبتى لو طلعت الصوره فى الجرانين ح يتوقف حالها . مش ح تتجوز أبدا .. مين اللى يرضى يتجوز واحده

عريانه بالشكل ده ؟

فقال شفيق وهو يبتسم :

ــ ما قلت لك اطمنى أنا هنا .

وفهم جلال وأحلام ما يرمى إليه فابتسما ، أما الأم فلم تفهم قصده ، وقالت فى ضيق :

ــ ما قلت لى اطمنى قبل كده ، ولا جبت الصوره ولا حاجه ، وأهو المصوراتى داير يصور فى البنات ، أروح أنا اجيبها منه ؟

وتيقن شفيق أنها لم تفهم غرضه ، وأراد أن يرضيها فقال لها :

ــ أنا رايح للمصوراتى أجيب الفيلم منه .

وذهب إلى الرجل واتفق معه أن يبعث إليه بصورة نبيلة فى حجم كبير ، والصورة السلبية ، وأعطاه عنوانه ودفع له القيمة مقدما .

وأقبلت نبيلة بعد أن استبدلت ثيابها ، وما إن رأتها أمها حتى قالت لها :

ــ ع البيت قدامى .

وسارت نبيلة وشفيق وأحلام وجلال وانطلقت الأم خلفهم وهى تغمغم :

ــ دا مجنون اللى يسيب بناته على حل شعرهم .. قال على رأى المثل : « كنا فى جره وطلعنا بره » .

الفصل الرابع عشر

استيقظ الأولاد مبكرين ، وراحوا يغدون ويروحون فى الردهة مسرعين ، هذا يخلع ثيابه ليرتدى ثياب الخروج ، وذاك يمشط شعره وهو يدور بعينيه فى المكان ويقول :

ــ أمال الجزمه فين ؟

وذهبت نبيلة إلى الساعة ونظرت فيها ، ثم اتجهت إلى غرفة أبويها وطرقت الباب فى رفق وهى تقول :

ــ اصحوا بقى ما فيش وقت ، زمان شفيق جاى .

وقالت الأم من الداخل وهى راقدة فى فراشها :

ــ افتحى وخدى هاله لبسيها .

وفتحت نبيلة واتجهت إلى سرير هالة وحملتها وقالت لها مداعبة :

ــ تعالى يا ستى عشان تروحى العزبه ، ياللى عمرك ما شفتى عزبه .

فقالت لها أمها :

ــ يعنى انتى اللى شفتيها ؟

ــ طبعا شفتها .

ــ شفتيها فين بقى ؟ .

ــ فى السينما .

وغادرت نبيلة الغرفة وقال الزوج :

ـــ يا للا ما فيش وقت يا دوب تلبسى .

ونهضت وهى تتمطى ، وتركت الغرفة ، فألفت أحلام قد انتهت من عاطف ، وبدأت فى تمشيط شعر سوسن ، فقالت :

ـــ ما فيش خروج قبل الشقة ما تتنضف . سامعين ؟

فقال مراد :

ـــ أنا ح اكنس الأوده المفروشه ..

وقال سامى :

ـــ وأنا ح امسح المطبخ .

وقالت الأم :

ـــ وانتى يا نبيلة املى القلل وحطى هدوم هاله فى شنطتها ، وما تنسيش تاخدى هدوم لعاطف ومراد .

فقالت نبيلة وهى تبدل ثياب هالة :

ـــ حاضر .

ودلفت الأم إلى الحمام وهى مسرورة ، لم تسمع اعتراضا ، ولم تر تذمرا ، كانوا جميعا سامعين مطيعين .

وذهب عاطف إلى أبيه وهو يحمل كلبه ، وقال له :

ـــ يا بابا احنا رايحين العزبه ؟

ـــ أيوه .

ـــ وح ناخد سوزى معانا العزبه ؟ .

ــ أيوه .

ــ الا يا بابا العزبه يعنى إيه ؟

وحك الأب رأسه بظفره ، وشرد يفكر برهة ثم قال :

ــ العزبه يعنى بيت كبير حواليه غيطان .

ــ غيطان يعنى إيه يا بابا ؟

ــ يعني جنينه واسعه تزرع كوسه وكرنب وبرتقال وموز وكل الخضار والفاكهه اللى بتاكلها .

ــ آه .

فقال الأب وهو يعبث فى رأسه فى حنان :

ــ عايز حاجه تانى ؟!

ــ أيوه . عايز قرش .

ومد الأب يده فى جيب البنطلون وناوله قرشا ، فأطبق عاطف يده عليه وقال :

ــ وسوزى عايز يضيع .

ودفعه أبوه فى رفق يخرجه من الغرفة وهو يقول له :

ــ بره يا بكاش .

وخرج عاطف من الغرفة وهو يضحك ضحكة تنم عن مكر ودهاء ، وعادت الأم ، فقال لها حسين :

ــ شهلى شويه ما فيش وقت .

ــ دنا ح البس قبلك .

ووقفت تفكر برهة ، ثم قالت له :

ــ قل لى ألبس إيه ؟

فقال وهو يطوح ذراعه فى حنق :

ــ أوه . إنت لسه ما فكرتيش ح تلبسى إيه ؟ يبقى مش ح نخرج قبل الضهر . البسى أى حاجه ، انتى رايحه فين يعنى !

وفتحت الصوان وراحت تقلب ثيابها لتختار منها ما ترتديه ، وهى تقول :

ــ أنا عارفه أتومبيل إيه ده اللى ح يساعنا كلنا ! .

وأقبلت نبيلة تحمل هالة ، وجاءت أحلام وقد تأهبت للخروج ونظرتا ثم قالتا معا :

ــ لسه ما لبستيش يا ماما !

ــ ناولونى الجزمه .

ــ حاضر .

ــ طلعى لى يا أحلام الشراب الأسود .

ــ حاضر .

ــ جهزتى شنطة هاله يا نبيله ؟

ــ جهزتها . فيه حاجه تانيه ؟

وأثلجت تلك الطاعة صدر الأم ، فتمنت أن يصبح ذلك حالهم على الدوام ، وشاءت أن تنعم بتلك الطاعة الطارئة فقالت :

ــ روحى يا نبيله شوفى مراد مسح جزمته وخد مناديل نضيفه واللا

عمل إيه ؟

ـــ حاضر .

وتحركت نبيلة ، وذهبت أحلام وسوسن وعاطف إلى الشرفه ليرقبوا الطريق .

وقالت الأم :

ـــ عينى بارده ع الأولاد النهارده ، إيه اللى جرى لهم ، متشطرين من بدرى وكل ما نقول لهم حاجه ، يقولوا حاضر .

ـــ مش فاضيين للزعيق والخناق ، عايزين يخلصوا . نفسهم يغمضوا ويفتحوا يلاقوا نفسهم فى العزبه .

ـــ أنا عارفه ما كانش لك عزبه ليه .

ـــ الحمد لله على كده .

وسمع نداء كلاكس سيارة ، وإذا بأحلام وسوسن وعاطف يقبلون مهرولين يتصايحون ، وبلغت أحلام غرفة والديها فقالت :

ـــ جلال جاب عربيه وشفيق بعربيته .

فقالت الأم فى راحة :

ـــ أيوه كده ، مش كنا ح نندس فى عربية زى علبة السردين !

ووقف جميع الأولاد على باب الغرفة يحثون أمهم على الإسراع :

ـــ ياللا يا ماما ياللا يا ماما .

ـــ انزلوا انتو وأنا محصلاكو .

وقال الأب :

ـــ سوسن ومراد ونبيلة وماما يركبوا مع شفيق . وأحلام وسامى وعاطف وأنا نركب مع جلال .

وانطلق الأولاد يعدون فى مرح ، وقال عاطف لسامى :

ـــ خد سوزى .

ـــ أنا مالى .

وتناولت أحلام يد عاطف ، وحملت الكلب وانطلقت وكل خالجة فيها تنطق بالغبطة والسرور .

وخلت الشقة إلا من الزوجين ، والتفتت زينب إلى زوجها وهى فى طريقها للهبوط وقالت :

ـــ يا راجل ليه تفرق بينا ، كنا ركبنا سوا فى عربيه واحده .

ـــ كل واحد منا ف عربيه عشان ناخد بالنا م العيال .

فقالت فى دلال :

ـــ قول إنك زهقت منى .

فلف ذراعه حول ظهرها ، وضغط على كتفها البعيدة بيده فى حب وقال :

ـــ مش معقول .. تصدق . متهيألى إننا متجوزين من كام شهر بس .

ـــ والأولاد دول كلهم .

ـــ أنا عارف جم إمتى ؟

وهبطا إلى الطريق ، فخف إليهما جلال وشفيق وراحا يصافحانهما

ونظر الأب فألفى أحلاما قد جلست فى المقعد الأمامى فى العربة الأولى ، ونبيلة قد جلست فى المقعد الأمامى فى عربة شفيق ، وقد أعطت هالة لسوسن ، فقال :

ـــ مراد يركب قدام جنب نبيله .

وقفز مراد فى مثل لمح البصر من المقعد الخلفى إلى المقعد الأمامى ، فأفسحت له نبيلة مكانا إلى جوارها ، وإن كانت ملامحها تنطق بعدم رضاها .

وقال الأب لسامى ، قبل أن يهم بالصعود إلى السيارة :

ـــ سامى . عد إخواتك .

فراح سامى يعدهم ثم قال :

ـــ سته والكلب .

فقال الأب فى إنكار :

ـــ سته إزاى ! يبقوا ناقصين واحد عدهم تانى .

فراح سامى يعدهم مرة أخرى وقال :

ـــ برضه سته والكلب .

وأخذ الأب فى عدهم وهو يشير بأصبعه إلى كل منهم ، فلما أشار إلى سامى فغر فاه ، فقد عرف خطأ نفسه ، وقال الأب :

ـــ مش عارف تعدهم ؟! سبعه والكلب .

ـــ آه . أصلى نسيت أعد نفسى .

وقال الأب :

ـــ مش ناسيين حاجه قبل ما نمشى ؟

وقال الجميع :

ـــ مش ناسيين حاجه يااللا بقى .

وركب الجميع ، وانطلقت السيارتان ، حتى إذا بلغتا محطة بنزين عرجتا للتزود بالوقود وأطلت سوسن من نافذة السيارة وقالت :

ـــ بابا .. بابا . أنا ما خدتش قرش . خليه معاك لما نوصل .

وقال عاطف وهو يعطى الكلب لأبيه :

ـــ بابا . خد سوزى شويه .

ـــ حاضر ..

والتفتت أحلام إلى أبيها وقالت :

ـــ بابا ما قلتليش . لما فت ع الصايغ قال لك إيه ؟

ـــ قال بعد بكره ح يسلمنا كل حاجه .

وقرعت « بابا » المتناثرة من السيارتين أذن عامل المحطة فاقترب من النافذة الجالس عندها حسين وقال له :

ـــ اسم النبى حارسهم كلهم ولادك ؟

فقال له حسين وهو يبتسم :

ـــ أيوه .. والباقى سبتهم فى البيت .

فقال له الرجل فى رثاء :

ـــ الله يكون فى عونك . دنا عندى تلاته عقلى ح يشت .

فقال له حسين فى بساطة :

ـ تلاته يقوا صعب ، لكن لما بيزيدوا عن كده أمرهم بيهون .

واستأنفت السيارتان رحلتهما ، كان شفيق فى المقدمة وجلال خلفه ، وكان السكون مسيطرا على سيارة جلال ، الأب جالس يعبث فى شعر الكلب وعاطف واقف ينظر من زجاج السيارة الخلفى يشاهد الحقول والترع والأشجار الممتدة على جانبى الطريق وهو مأخوذ . كانت أول مرة يشاهد فيها ذلك الفضاء العريض . ووضعت أحلام رأسها على حافة المسند وشردت ببصرها ، وهامت فى عالم من الأحلام ، كانت السعادة تغمرها ما دامت بالقرب من جلال .

وضاق سامى بذلك الصمت ، فقال :

ـ تعرف العزبه يا جلال ؟

ـ طبعا .

ـ طب ياللا نطلع من شفيق .

وزادت سرعة السيارة ، وانحرفت إلى اليسار قليلا . واستمرت فى تقدمها حتى أصبحت فى محاذاة سيارة شفيق فصاح سامى فى نشوة :

ـ هيه .

وشاركته أحلام فى صياحه ، ثم التفت عاطف وشاركهما فى التهليل ونظر الأب فألفى الأم ناحيته لم يكن يفصل بينهما إلا لوحا زجاج السيارتين ، فأخرج لسانه لزوجته ، وانسابت السيارة حتى أصبحت فى المقدمة .

وضايق ذلك ركاب السيارة الأخرى ، فقال مراد :

ـــ ياللا نسبقهم .

وقالت نبيلة :

ـــ ياللا يا شفيق .

ولم تعترض الأم ، كانت تفكر فى طريقة ترد بها على مداعبة حسين .

واندفعت السيارة فى عدوها تنهب الأرض ، ومرق شفيق بمهارة من جوار سيارة جلال ، ونبيلة ومراد وسوسن يتصايحون مسرورين أما الأم فقد وضعت إبهامها على أنفها وراحت تحرك أصابعها فى الهواء زراية وسخرية .

وانسابت السيارتان فى طريق زراعى ضيق ، الحقول الخضر مترامية عن يمينه ، قامت بيوت متواضعة من طين ، وامتدت الترعة عن يساره ، تتدفق بالأمل والحياة . وأحست الدواجن والطيور التى كانت تمشى فى تؤدة واطمئنان على شاطئ الترعة إقبال السيارتين ، فراحت تفسح الطريق ناشرة أجنحتها وقد ارتفعت صيحات الأوز ، حتى كادت تغطى على صوت السيارة .

ونظرت الأم ، فلمحت فلاحا مقبلا على ظهر حماره ، يسير فى عرض الطريق ، فقالت :

ـــ حاسب يا شفيق الحمار .

والتفتت سوسن ، وراحت ترقب الحمار فى انتباه ، ثم قالت :

ـــ ماما . بابا بيقول لمراد يا حمار ليه ؟ دا الحمار كبير وبيمشى على إيديه ورجليه وله ديل وودان طويله !

ومد مراد يده وقبض على ذراعها وقال :

ـــ وبعدين معاكى ؟

ولم تأبه به ، بل قالت :

ـــ ماما .. نفسى أركب حمار .

فقال شفيق :

ـــ دلوقت أركبك حمار . ادى احنا وصلنا .

ووقفت السيارة أمام باب كبير ، يتوسط سورا من اللبن ، مطلى بالجير ، وضغط شفيق فى الكلاكس ، وإذا بالباب يفتح وانطلق شفيق فى ممر بين الخضرة والأزهار والأشجار العالية ، وجلال فى أثره ، حتى بلغ سلالم الدار فوقف عندها .

وهبطت نبيلة والأم تحمل هالة ، وسوسن وعاطف ومراد وصعدوا فى الدرج قليلا ، ثم وقفوا ينظرون إلى فناء الدار الواسع ، وفى وجوههم إعجاب . كانت الأشجار العالية كمردة حارسة على حوافه ، بينا غطت الخضرة المكان ، تتخللها ممرات نسقت تنسيقا بديعا ، ونبتت الورود والزهور فى أحواض تحف بها خضرة أزهى من الخضرة التى تغطى المكان جميعا .

ووقفت سيارة جلال ، وهبطت أحلام ووالدها وسامى وعاطف يحمل كلبه ، وخف إليهم شفيق وقال :

ـــ حمدا لله ع السلامه .

وصعدوا بضع درجات ونظر الأب وقال :

— حاجه جميله .

فقال جلال وهو ينظر إلى شفيق :

— مهندس زراعى ، إن ما كنش يهندس بيته ، ح يهندس بيت مين !

وسار شفيق أمامهم وقال :

— اتفضلوا .

وبلغوا ردهة تؤدى إلى بعض غرف ، وفى جانبها الأيسر درج يقود إلى الطبقة العليا وقال :

— اتفضلوا فوق استريحوا وانا وسامى وجلال وعاطف ح نستريح ونغير هدومنا هنا . وح نتقابل فى الجنينه تحت .

وصعدوا فى الدرج ، وقد ارتفعت الضوضاء ، سوسن تطلب ركوب الحمار وعاطف يقلدها ، ونبيلة تحث أحلام على الإسراع حتى لا يفوتهم التمتع باليوم كاملا .

وبدلوا ثيابهم والتقوا فى الحديقة ، وقد تركت الأم هالة مع خادم قروية ، وقال شفيق :

— تعالوا أفرجكوا الجناين بتاعتنا .

وغادروا الدار ، وانطلقوا فى حقول الفواكه ، وراحت نبيلة تملأ رئتيها بالهواء ، وشفيق يسترق النظر إليها ، وسار جلال إلى جوار أحلام وقد أمسك يده فى يدها ، وراح سامى ومراد يعدوان ، وعاطف وسوسن يجريان فى أثرهما .

وقال جلال :

ـــ إيه رأيك نمضى شهر العسل هنا ؟

وقالت نبيلة :

ـــ ياريت يا أحلام ، دى جنه .

وقال شفيق :

ـــ اتفضلوا . العزبه واللى فيها وصاحبها تحت أمركم .

والتقت عيناه بعينى نبيلة ، فأحست أن حديثه لها ، فتفتحت نفسها ومست أوتار قلبها يد حنونة ، راحت تعزف أنشودة الحب الخالدة .

وبلغوا حديقة المانجو . فوقف الجميع ينظرون فاغرى الأفـواه ، حتى الأب سال لعابه ، ومد شفيق يده وقطف واحدة ، وقال :

ـــ دوقوا مانجتنا ، مانجه حلوه .

وهجم الجميع على المانجو ، وغاصت أقدامهم فى الطين ، ولكنهم لم يحفلوا بذلك ، وامتدت الأيدى ، وقطفت الثمر المتدلى ، وتلـوثت الأكف والوجنات والذقون وراح عاطف يمسح يديه فى صدره ، ونهرته أمه ، واعتبر مراد فلم يمد يديه إلى ثيابه ، بل راح يمسحها فى ورقة من أوراق الشجر ، فاختلط عصير المانجو بالتراب : ومرر يده على فمه وذقنه وخديه ، فإذا بوجهه يتلوث بالطين ، ولمحته نبيلة ، فـراحت تضحك وهى تشير إليه بأصبعها ، وسدد الجميع إليه نظراتهم ثم انفجروا ضاحكين :

واستمروا فى تجوالهم ، وفى عودتهم إلى الدار مروا بالحظيرة ، فألفوا حصانين وبعض أبقار ، وراح شفيق يمرر يده على رقبة الحصان وقال

سامى لأبيه :

ــ مره يا بابا حكيت لنا إنك ركبت حصان فى الهرم وسبقت بيه أتومبيل . الحصان اهه ، ورينا يا بابا بتركبه إزاى ؟

والتف الأولاد جميعا حول أبيهم وقالوا :

ــ والنبى يا بابا عايزين نشوفك وانت راكب الحصان .

واتسعت عينا الأب ، وبلع ريقه ونظر إلى زوجته يتوسل إليها أن تنقذه ، ولكنها أعرضت عنه ، فلم ير مفرا من التهرب والتماس المعاذير ، فقال :

ــ مش دلوقت . تعبنا م المشى .

فقال سامى :

ــ والعصر يا بابا بعد ما تستريح ح نحضر لك الحصان .

وقالت سوسن لشفيق :

ــ عايزه أركب الحمار .

ــ حاضر .

وأمر خادمه أن يحضر حمارين .

وعادوا إلى فناء الدار وجلسوا على كراسى خيزران صفت فوق الحشيش ، وجىء بالحمارين ، فهرع مراد وسوسن وعاطف إليهما ، وركب مراد حمارا ، وركب عاطف وسوسن الحمار الآخر ، وقال الأب :

ــ طالع فوق شويه أستريح .

وقالت الأم :

ــ لما اطلع أنيم هاله .

وانصرف الوالدان ، وذهب شفيق وأحضر فونوغرافا ، وجلس على الحشيش ، فترك جلال وأحلام ونبيلة وسامى كراسيهم وجلسوا على الأرض .

وانبعثت الموسيقى ، كانت نفس الموسيقى الراقصة التى انسابت يوم حفلة المدرسة ورقصت عليها نبيلة .

ونظر شفيق إلى نبيلة وقد توجت فمه بسمة ، فأطرقت نبيلة حياء ، وقال جلال :

ــ ياللا يا نبيله .

فأدارت وجهها ، وقالت :

ــ لأ .

وقالت أحلام :

ــ وش كسوف قوى . ياللا .

وقالت لشفيق :

ــ دور الاسطوانه م الأول .

ونهضت نبيلة ، وبدأت فى الرقص ، وتعلقت عينا شفيق بها ، وراح يمرر لسانه على شفتيه .

وانتهت نبيلة من رقصتها ، وارتمت على الأرض ، وشفيق يتفرس فيها . ونهض جلال وجذب أحلام من يدها ، وقال وهو ينظر إلى

الحمارين :

— تعالى ناخد لنا دور .

وقامت أحلام ، ونهض سامى وقال :

— وانا جاى آخذ دور كمان .

وهبط مراد عن ظهر الحمار ، وراح جلال يعاون أحلام على امتطائه ، وهي تميل على صدره وتضحك ، حتى إذا ما استوت على ظهره وأمسكت باللجام ، لكزه فى بطنه فهرول وأحلام تصيح وتضحك وتطلب النجدة .

وركب جلال الحمار الآخر وراح يعدو فى أثرها ، ويضرب حمارها وهى تتوسل إليه أن يكف . وانطلق مراد وسوسن وعاطف يجرون خلفهم ، بينا وقف سامى يرصد أحلام وينتظر عودتها ليأخذ الحمار منها .

وبقى شفيق ونبيلة وحدهما على الأرض ، راحا يتبادلان النظرات ويتناجيان بأرق حديث وأعذبه وإن لم تنفرج لأحدهما شفة . كانا يتحدثان حديث روح لروح ، وقلب لقلب .

ومر الوقت ، وجاء العصر ، فإذا بشفيق قد أقبل يقود الحصان من لجامه ، وقد أسرجه ، ونبيلة تسير إلى جواره وأحلام وجلال والأولاد جميعا خلفه ، وقد اتسخت ثيابهم ، وكان مراد أكثرهم قذارة .

ووقف شفيق عند درج الدار ، وصعد مراد وسامى يهرولان ، حتى إذا بلغا الغرفة التى بها والداهما قال سامى لأبيه :

ـــ بابا الحصان جاهز تحت .

ونظر الأب من النافذة ، ورأى الحصان يهز ذيله ويضرب الأرض بحافره ، ويصهل ، فعاد وهو يمرر يده على بطنه ويقول :

ـــ بطنى ح تطق ، كلنا كتير ع الغدا . مش قادر اتحرك ، بلاش النهارده ، مره تانيه .

وأرادت زوجته أن تداعبه ، فقالت له :

ـــ يا راجل انزل اركب شويه .

ورمقها فى عتاب ، ثم اتجه إلى السرير وتمدد فيه وقال :

ـــ مش قادر اتحرك النهارده . مره ثانيه .

ويئس ابناه منه ، فغادراه وهبطا ، وانصرف السائس بالحصان ، وقال سامى :

ـــ عايزين نلعب حاجه .

فقال مراد :

ـــ نلعب الكوره .

فقالت نبيلة :

ـــ لأ . نلعب حاجه تانيه .

فقال شفيق :

ـــ نلعب استغمايه .

وقال الجميع :

ـــ موافقون .

ـــ أيوه ، نلعب استغمايه .

وقال جلال :

ـــ مين الحفاء ؟ .

فقال مراد :

ـــ أنا .

وقال سامى :

ـــ لأ أنا .

وقال شفيق وجلال :

ـــ خلى سامى الحفاء .

وأغمض سامى عينيه ، وأخذ الجميع يتسللون ليختفوا منه ، وجرى مراد بعيدا ، وقالت أحلام لسوسن وعاطف همسا :

ـــ اطلعوا فوق استخبوا عند ماما .

وأطاعاها ، وصعدا فى الدرج ، وذهب جلال وأحلام ليختفيا خلف الدار بينا خرج شفيق ونبيلة من الباب الكبير ، وصاح سامى :

ـــ خلاص ؟ .

وجاءه صوت شفيق من بعيد :

ـــ لسه .

ودلف شفيق ونبيلة إلى الحظيرة ، وصهل الحصان ، وأشار له شفيق أن يصمت وهو يقول :

ـــ هس .

ووقف شفيق وإلى جواره نبيلة ، ومس شعرها خده ، وملأ عبيرها أنفه ، فانبثقت فى أغواره مشاعر رقيقة ، واستشعر غيبوبة لذيذة تغلفه ، وحنانا طاغيا آمرا ، يستبد به فلا يستطيع أن يعصى أمره ، فمد يده وجذبها من يدها فاستدارت له ، وتألقت عيناه بالرغبة ، وضمها إليه وقبلها ، فنظرت إليه بعينين ترقرقت فيهما الدموع ، فقال لها فى وجد :

— تروحى الجامعه ، واللا تتجوزينى وتقعدى فى البيت ؟

فقالت وهى هائمة فى عالم بهيج من الأحلام :

— لأ . البيت أحسن .

(أم العروسة).

الفصل الخامس عشر

وضعت أحلام حقيبة كبيرة على سريرها ، وراحت تصف فيها ملابسها الداخلية والمنزلية ، وأخذت نبيلة تعاونها ، فأخرجت من الصوان بعض قمصان النوم والقطع الدقيقة التى تفتق ذهن صانعى الجمال عنها ، لرفع الثديين ، وبعض القطع الصغيرة من الثياب ، التى تسدل القمصان فوقها ، ولمحتها أحلام وهى ترفع رأسها عن الحقيبة ، فقالت لها :

ــ خلى الهدوم دى عندك .

ــ ليه ؟.

ــ مش ح اخدها دلوقت . ح البسها فى الخمس أيام اللى فاضلين لى هنا .

ــ خديهم معاكى بالمرة ، وابقى البسى من هدومى .

فقالت أحلام وهى تحاول أن تغلق الحقيبة :

ــ يمكن أسيبهم هنا على طول ، أبقى ألبسهم لما آجى أزوركم .

فقالت نبيلة وهى تعيد الثياب مكانها :

ــ خليهم زى مسمار جحا !

وارتفع صوت سوسن :

ــ ماما .. ماما .. الحقى . عاطف غرق هدومه ميه وهو بيحمى سوزى .

فصاحت الأم من غرفتها :

ــ عاطف ، اقفل الحنفيه دى ، واخرج من عندك .

وصاح عاطف :

ــ سوزى اتمرغ فى الوحل باحميه .

ــ اخرج من الحمام أحسن إن قمت لك ح اقصف رقبتك .

وخرج عاطف من الحمام ، وقد ابتلت ملابسه ، وهو يحمل سوزى ويضمه إلى صدره ، والماء يتقاطر من جسمه ، ولمحته أمه فهرعت إليه وهى تصيح :

ــ هو انتو قرود .. دوختونى .

وجذبته من يده وقالت وهى تذهب به إلى غرفته :

ــ تعال غير هدومك اللى بتلق دى .. ح تعيى وتموت .

فقال وهو يهز كتفيه فى زراية :

ــ بتضحكى علىّ ، مش ح اموت . الصغيرين ما يموتوش .

ــ مين اللى قال لك كده ؟

ــ مراد .

وأطلت نبيلة برأسها وضحكت ، ثم دارت على عقبيها ونظرت فألفت أحلام تديم النظر إلى سريرها وقد شردت فى تفكير ، فرمقتها فى صمت ، أحست ما يعتمل فى صدر أختها من مشاعر ، وفطنت أحلام

إلى وقفة نبيلة ، فالتفتت إليها وقالت وهى تقبض بيدها على السرير :

ــ أول سرير اتنصب هنا أول سرير ح يتفك .

فخطت نبيلة خطوة حتى لمست كتفها كتف أختها وقالت :

ــ مش ح يتفك أبدا ، ح يفضل منصوب على طول ، لما تجينا تبقى تريحى فيه ، وبكره هاله تكبر وتنام فيه .

ولفت نبيلة يدها حول كتف أختها وقالت :

ــ ح توحشينا .

ونظرت أحلام إلى أختها وقد اغرورقت عيناها بالدموع .

وخرج سامى من غرفته وفى يده كرفاتة يقلبها فى زراية ، وقد لوى شفته السفلى ، وانطلق إلى غرفة أبيه ، فوجد أباه مطرقا فى صمت ، فلم يحترم خلوته ، وقال :

ــ الكرافاته اللى جبتها لى مش حاجه .. مش ماشيه مع البدلة . عندك كرافته تبقى على بدلتى الجديدة شيك خالص .

فقال الأب فى استسلام :

ــ الكرافاتات كلها عندك ، خد اللى انت عايزه .

وعادت الأم ، ورأت سامى يقلب فى كرافتات أبيه ، فقالت له :

ــ انت مش ح تبطل الطمع ده ، ياللا بره بلاش دلع .

ولم يحفل بها ، أخذ الكرافتة التى يريدها ووضعها على كتفه ، وخرج فى تؤده ، وقد صم أذنيه عند تأنيب أمه .

ورمقت الأم زوجها ، فإذا به صامت ، فقالت له :



تعبت . ادينت ومابقاش معايا حاجه أبدا

ـــ مالك سرحان النهارده ؟.

ـــ تعبت . ادينت وما بقاش معايا حاجه أبدا .

ـــ الحمد لله البنت اتجهزت . وكلها يومين وتتستر ، وبعدها يعدلها ربنا .

ـــ اتزنقت قوى .

ـــ برضه انت اللى زنقت روحك . لو خليته يجيب المشمع والنجف والنملية وأدوات المطبخ وملة السرير زى الناس كلها ما بتعمل ، ما كنتش ازنقت كده .

ـــ دى كلها حاجات فارغه .

ـــ أهو برضه كان تمنها نفع دلوقتى .

ورفع بصره إليها وقال :

ـــ اسمعى يا زينب ، عايزين نلم نفسنا ، نكتب الكتاب ع الضيق لو اتفنجرنا ح نتفضح .

ـــ وأنا ليه مين يا حسره ، ح اقتصر ع العيلة وبس .

ـــ والعريس لأ ؟

ـــ العريس إذا كان ح يعزم يعزم على بيته .. ما قلتليش اتفقت على إيه مع ابوه ؟.

ـــ ح ييجوا بعد صلاة العشا يكتبوا الكتاب ، وبعدها ياخد العريس عروسته ويمشى .

ـــ كله بيتقضى ، كلها كام يوم ونفوق على طول .



ـــ والنبى خروف يا بابا .

ورن الجرس ونينا متصلا ، فخفت سوسن تفتح الباب ، فقرع أذنيها صَوت خروف ، فإذا بها تعود مهرولة وهى تصيح :

ــ ماما .. ماما . إلحقى . خروف .

وقال الأب فى تساؤل :

ــ خروف إيه يا بت ؟

ــ والنبى خروف يا بابا .

أسرع سامى وعاطف وأحلام ونبيلة إلى الباب وقامت الأم وخرج الأب خلفها ، وقد اختفت خلفه سوسن ، وفتح الباب ، وإذا بأربعة ديوك رومى تتدفق فى كبرياء ، وفى أثرها خروف سمين يدفعه مراد .

وقفز سوزى من يد عاطف ، وراح ينبح ، وأسرع عاطف يقبض على ديك ، بينا صرخت سوسن رعبا من الخروف . وارتفعت أصوات سامى وأحلام ونبيلة ، فأصبحت الشقة أشبه بحمام عام قطعت عنه المياه .

وصاح الأب فى ضيق :

ــ بس بقى . إيه الزيطه دى ؟!

وخفتت الأصوات ، وقال الأب لمراد :

ــ إيه ده ؟.

فقال مراد وهو يدفع الخروف :

ــ شفيق بعتهم .

ــ إيش عرفك ؟

ــ الراجل اللى جابهم واقف تحت ، كان معاه الاسم والعنوان ، وقال إن سى شفيق اللى باعتهم .

وقال الأب فى مرارة :

ــ وليه بعتهم بس ؟

فقالت نبيلة فى زهو :

ــ بعتهم هدية يا بابا .

وقالت الأم .

ــ طب ياللا طلعوهم ع السطح .

وأخذ الأولاد يدفعون الخروف أمامهم ، وسوزى ينبح ، وراح سامى يهش الديوك لتشق طريقها خلف الخروف .

وقالت الأم للأب :

ــ مش ح ندى الراجل حاجه ؟.

وتحرك الأب نحو غرفته ، وقالت الأم لسوسن .

ــ تعالى يا سوسن إدى الفلوس دى للراجل اللى واقف تحت .

ومد الأب يده فى جيب جاكتته المعلقة فى المشجب ، وأخرج ريالا أعطاه سوسن فانطلقت تعدو ، ورفعت الأم بصرها وقالت وهى تصيخ السمع :

ــ لو فيه مكان واسع فى الشقة كنت خلتهم فيها ، يا خوفى لحرامى يسرقهم .

فقال حسين وهو يرفع أكف الضراعة :

ـــ يا ريت !.

ـــ ليه بس ؟.

ـــ كنت استريحت م الفتحة اللى ح تتفتح عليه دى .

ـــ فتحة إيه ؟

ـــ الخروف والديوك دى مش عايزه طباخ ؟!

ـــ مش فيه ناس م العيله ح ييجوا من أول النهار ، أهو الطباخ بغديهم ، واللا مين كان ح يغديهم ؟

ـــ كنا ح نطبخ لهم حلتين .

ـــ أهو الطباخ ح يطبخ لهم الحلتين دول :

ـــ والطباخ يعوز فراش .

ـــ مش كنا ح نجيب كرسيين للناس يقعدوا عليهم . إيه اللى ح يزيد علينا ؟

فقال الرجل وهو يهز رأسه أسفا :

ـــ جت رجلى وخلاص .

فدنت منه وقالت مواسية :

ـــ ربنا يخليك لهم ، وتفرحهم ، هم لهم مين غيرك ؟

فقال الرجل فى استسلام :

ـــ لو كان فيه معلهش ، إنما ما فيش خالص ، الفلوس كلها طارت .

ـــ كله يدبر .

وعادت سوسن ، فقالت الأم :

ـــ إديتى الفلوس للراجل ؟

ـــ أيوه .

ـــ وقال لك إيه ؟

ـــ قال لى : قولى لام العروسه : مبروك .

وأشرق وجه الأم ، ورمقها زوجها من طرف عينه ، فانبسطت تجعدات جبهته ، ولم تنفرج شفتاه .

وعادت الضوضاء إلى الشقة ، ارتفع صوت نبيلة وسامى ، قالت نبيلة :

ـــ إنت مالك ما تسيبه .

ـــ أسيبه ازاى لما يتغور ؟

وقالت الأم :

ـــ فيه إيه ؟

فقال سامى :

ـــ عاطف مش عايز ينزل . قاعد جنب الخروف فوق .

ـــ سيبه .

وساء سامى أن يهزم ، فقال :

ـــ ح يموت الديوك .

فقالت الأم :

ـــ ما لكش دعوه بيه ، وريح نفسك انت .

وانسابت نبيلة على أطراف أصابع قدميها وهى ترنو إلى سامى من فوق

كتفيها ، ولمحت الأم الشرر فى عينى سامى ، فقالت له :

ـــ عايز تغيظها ، ما تسألش عنها .

ونهض الأب ليرتدى ثيابه ، فقالت له الأم :

ـــ على فين ؟

ـــ أروح اشوف الطباخ والفراش .

ـــ وأنا ح اخرج مع أحلام نعزم العيلة .

وبلغ ذلك مسامع أحلام فقالت :

ـــ مش ح اقدر أخرج معاكى يا ماما عشان فايزه أخت جلال جايه تشوف الجزمه اللى ح البسها ليلة الفرح تشترى زيها .

ـــ فايزه جايه ؟ والله احنا ما فينا خير ، اللى ما سألنا عنها ، ويوم ما رحنا العزبه اللى ما قلنا لها تيجى .

فقالت نبيلة :

ـــ إحنا كنا معزومين ح نعزم غيرنا ! إذا كان جلال عايز يجيبها كان جابها معاه .

فقال سامى وهو ينظر إلى أحلام :

ـــ هو جلال فاضى لها ؟

ورمقته أحلام فى شزر ، فاضطر إلى كبح جماح لسانه . ودار على عقبيه وانصرف.وقالت الأم :

ـــ آخد نبيله معايه ، ياللا يا نبيله البسى ما تعطلنيش .

فضحكت نبيلة ضحكة طويلة ممدودة ، حتى إن عدواها قد سرت

إلى أحلام وسوسن . وقالت وهى تقلد أمها :

ــ أنا اللى ح اعطلك ! قال على رأى المثل : لو الجمل حس بصنمه ..

فقالت الأم فى عصبية :

ــ ما باحبش اخرج معاكى يا بت انتى من لسانك الطويل .

* * *

وانطلق حسين إلى طباخ ورثه عن أبيه ، كان يقيم موائد أفراحهم وأطقم مآتمهم ، وانتقل موقده إلى أسطح بيوت الأسرة جميعها ، واحتل أفنية مدافنها ، وما كان فى إعداد طعامه يفرق كثيرا بين ما يقدمه فى الأفراح وفى الأتراح .

وحياه حسين وجلس ، وقال له :

ــ عندى كتب كتاب أحلام يوم الخميس ، وعايزينك تيجى تطبخ لنا حلتين ع الضيق .

فاعتدل الطباخ وقال :

ــ إنت مش عازم حد أبدا ؟.

ــ يا دوب العيله ح تيجى وبس .

ــ يبقى الكلام اللى بتقوله مش ح ينفع ، اسألنى أنا ع العيله .

ــ أنا عندى خروف وأربع ديوك رومى ، عشره .. خمستاشر ح يتغدوا والباقى للعشا .

فضحك الطباخ وقال :

ــ عشرة خمستاشر ؟! دول يدوب أهل البيت . الكلام ده مـا

ينفعش .

وأحضر ورقة وقلما وناولهما لحسين وقال :

ـــ أول ما نبدى نبدى بالمورد ، اللهم اجعله ورد ، اكتب يا سيدى عندك قزازة ماورد و ٢٠٠ بيضة وعشرين وقة دقيق أمريكانى .

فقال حسين معترضا :

ـــ عشرين وقة دقيق أمريكانى ليه ؟ مش ناوى تشترى عيش ولا إيه ؟.

ـــ والنبى يا حسين بيه تكتب ، إياك يكفو الفطاير اللى ح نعملها .

واستأنف إملاء ما يريد كأنما يقرأ فى صفحة مكتوبة :

ـــ وقة شعرية ، سبع أقداح أرز ، ميت رطل لحمة عجالى .

فقال حسين معترضا :

ـــ واللحمة العجالى ليه ؟ ما عندنا الخروف !

فقال الطباخ فى بساطة :

ـــ ح نعمل م الخروف كفتة والا لحمه عصاج ؟ والنبى تكتب قبله وبعدين شوف اللى عايز تقوله إيه .. أربع مراوح ضانى و خمستاشر جوز حمام .. خد الخضار : عشرة ارطال كوسه صغيره للحشو . خمسة ارطال ورق عنب . خمسة ارطال فاصوليا خضره ، علبتين بسلة نشفه . خد عندك الحاجات دى عشان الحلويات : اتنين كيلو شيكولاطـة كتل ، واتنين كيلو شيكولاطة مجروشة ، وتلت وقات كريز وخمس علب أناناس وخمس وقات موز ، وخمسه كيلو كريمه وعشر وقيات

فسدق ، وعشرين لمونه .

ورفع حسين القلم عن الورقه وقال :

ــ ح تعمل إيه بالحاجات دى كلها ؟

ــ طزطات وهريسه وخشاف وألمظيه ومهلبيه .

ــ ما كفايه صنفين .

ــ لو الحاجات دى كفت يبقى ستر من عند ربنا .

ــ أنا مش عامل حاجه ومش عازم حد ، و... و ...

ــ والنبى تكتب قبل ما انسى .

ــ لسه فيه كتابه ؟

ــ عشرين رطل سمن ، والبصل والفلفل والملح .

ــ الحاجات دى فى البيت .

ــ وحملين خشب رواجع ونص قنطار فحم وسلامتك .

ورفع حسين رأسه وقال :

ــ خلاص خلصت ، اسمع يا سيدى . أنا مش ح اجيب إلا نص الحاجات دى .

ــ يا ريت !.

ودنا من حسين وقال له كصديق يهمه مصلحته :

ــ بقى نصرف المصاريف دى كلها ونيجى ع الآخر ونفضح نفسنا ؟

فقال حسين وهو ينظر إلى الأرض :

ـــ بس الواحد ح يجيب منين ؟

ـــ كله برزقه .

أراد أن ينهى هذا الحديث ، ويتحدث فى موضوع آخر فقال :

ـــ واتفقت ع الفراشة مع مين ؟

فقال حسين فى استسلام :

ـــ والله لسه ما اتفقتش مع حد ، لكن ما فيش إلا عماره ، على قدنا وابن حلال .

فقال الطباخ :

ـــ واهو الراجل بتاعنا برضه .. ح تروح له إمتى ؟

ـــ بكره .

ـــ وليه بكره ما تياللا نفوت عليه دلوقت .

وسارا يتحدثان حتى بلغا مخزن فراشة الحاج عمارة ، وكان الحاج جالسا خلف مكتب وإلى جواره بعض المقاعد الخشبية ، بينا وضعت الكراسى المذهبة فى صدر المخزن فى عناية .

وقال حسين :

ـــ السلام عليكم يا معلم عماره .

ـــ وعليكم السلام حسين بيه . اتفضل .

وجلس حسين وجلس الطباخ ، ولم يشأ حسين أن يضيع وقتا ، فقال :

ـــ يوم الخميس كتب كتاب بنتى ، عايزين كام كرسى .

فقال الطباخ .

ــ الكلام ده ما ينفعش ، نقوم نشوف المكان اللى ح يتفرش أحسن .

وقال المعلم عمارة :

ــ أحسن .

ثم نهض وقام الطباخ وحسين وانطلقوا إلى الشقة . وراحوا يجوسون خلالها ويدخلون غرفها غرفة غرفة ، والفراش يقلب عينيه فى الأثاث ويلوى شفته السفلى ، ولما انتهوا من طوافهم ، قال الفراش :

ــ العفش اللى فى الشقة لازم يتكوم فى أوده واحده ويسك عليها .

فقال حسين فى فزع :

ــ يتكوم فى أوده واحده ؟ وليه كده ؟ !.

فقال الفراش :

ــ لو فضل العفش ده ، الناس ح تقعد فين ؟ ح نفرش الأرض سجاجيد ونرص الكراسى فى الأرض . نجيب كام كرسى مذهب ؟

فقال حسين :

ــ كفايه دسته .

فقال الطباخ :

ــ دسته تعمل إيه ؟ ع الأقل دستتين .

وقال حسين :

ــ ولما ح تملا الأوض كلها كراسى ، الناس ح تاكل فين ؟

فقال الطباخ فى بساطة :

— ح نشد تركين قماش وننصب البوفيه فى السطح .

وانتهت المناقشات ، وشد الطباخ والفراش على يد حسين ، وهما يقولان :

— ربنا يتمم بخير .

وانصرفا وارتمى حسين على الأريكة فى الردهة ، وقد شرد ببصره ثم راح يدلك جبهته ببطن كفه .

ورن الجرس ، وأسرعت أحلام تفتح الباب ، ودخلت الأم ونبيلة ، يلوح التعب فى وجهيهما ولكن ما أن وقعت عينا الأم على أحلام ، حتى قالت :

— فايزه عندك ؟

— لا والله . نزلت قبل ما ييجى بابا .

— هو بابا جه ؟

ودخلت الأم . وجلست على الأريكة بجوار زوجها وقالت وهى تخلع حذاءها رحمة بقدمها :

— خير . هه عملت إيه ؟

فقال فى صوت خافت :

— خير .

وأحس أن نبرات صوته توحى بالضيق ، وخشى أن يتسبب فى انقباض صدر أهل بيته فى أيام فرحهم ، فتظاهر بالنشوة ، وقال لزوجه :

— هيه . عملتوا إيه ؟

فقالت الأم :

ــ عزمنا الناس اللى حوالينا .

ــ عزمتوا كتير ؟

ــ لا مش كتير .

فقالت نبيلة فى استنكار :

ــ مش كتير ؟ مش كتير ازاى ؟! دا ما فيش بيت ما دخلناهش .

فالتفتت الأم إليها وقالت :

ــ يا بت بلاش تهويل .

فقالت نبيلة وهى تتململ فى وقفتها :

ــ لو رجلينا تعرف تتكلم . كانت حكت اللى جرى لها .

والتفتت إلى أبيها وقالت :

ــ تعرف يا بابا لو اللى عزمناهم كلهم جم ، ح يبقى الناس على بعضهم .

فقالت الأم :

ــ هو معقول كل اللى عزمناهم ح ييجوا .

فقالت نبيلة :

ــ هو معقول حد يتعزم ولا يجيش . والله اللى ح ييجوا أكتر م اللى عزمتيهم . يا ما ناس بتيجى من غير عزومه .

وقامت الأم وهى تقول :

ـ يا بت انتى هواله ، ما تبقيش تخرجى معايا أبدا .

وانصرفت الأم إلى غرفتها ونبيلة تقول :

ـ بكره ح تشوف .!

الفصل السادس عشر

وأشرقت شمس يوم الأربعاء ، اليوم السابق لليلة الخطيرة المرتقبة ليلة الزفاف ، فدبت الحياة فى الشقة مبكرا ، استيقظت الأم وأحلام ونبيلة ، ورحن يرقبن عمال الفراش ، وهم يكدسون الأثاث فى الردهة التى كانت معدة لا ستقبال الضيوف ، وأخذ سامى ومراد وسوسن يحملون الكراسى الخيزران على رءوسهم ، ويقومون بصفها فى الغرف التى فرشت بسجاجيد الفراش الكبيرة الحمراء ، التى نمقت بزخارف عربية زرقاء وصفراء وبيضاء ، استوحيت من غصون الشجر والأوراق والأزهار .

وراح عاطف يقفز فوق الكراسى ، والكلب فى أثره ، يصعد إذا صعد ، ويهبط إذا هبط ، وجاء الأب يحمل هالة على ذراعه . ولم يكن منسبط الوجه ، كان يلوح عليه آى التفكير .

ورأى هبوط عاطف وصعوده وحركته الدائبة بين الكراسى ، فقال له :

ــ إنت هنا بتعمل إيه ، اطلع السطح اتفرج . الطباخ ح يدبح الخروف .

والتفتت سوسن وأصاخت سمعها ، ، وضع مراد الكرسى الذى يحمله

والتفت ، بينا جلس سامى على أحد الكراسى المصفوفة ، وربع يديه فوق صدره العارى . كان يرتدى بنطلونه القصير الأبيض وحذاء أبيض من المطاط ، واشرأب بعنقه ينظر .

وذهب عاطف إلى أبيه وقابل ، وعيناه تنمان عن خبث :

ـــ عايزنى أطلع السطح واتفرج على الخروف لما يدبح ؟

ـــ آه .

ـــ هات قرش قبله .

وأخرج الأب قرشا من جيب بنطلونه ، فالتقطه عاطف فى خفة الحدأة التى تلتقط حشايا طير مذبوح ملقاة فى خربة ، واقتربت سوسن من أبيها وقالت :

ـــ بتجيب الفلوس منين يا بابا ؟ .

وقفزت إلى ذهنه إجابات كثيرة ، ولكنها ما كانت تصلح إجابة عن سؤال طفلة لا تدرى ما الحياة وقسوتها ، أيقول لها من عرق الجبين الممتزج بتحمل سخافات رؤساء تافهين ؟ أيقول لها من الملق والرياء ؟ أيقول لها من كتم أنفاس صوت الضمير والسير فى مواكب النفاق ؟

وشرد قليلا وقد ازدحمت فى رأسه صور معتمة بغيضة ، نكأت جرح نفسه ، وحركت أساه ، حتى إنه أحس مرارة فى فمه ، ولكنه كبت مشاعره وقال :

ـــ من الحكومه .

وقالت سوسن :

— والحكومه بتجيب الفلوس منين ؟

— من الناس . اللى عنده دكان تاخد الحكومه من مكسبه ، واللى عنده بيت تاخد الحكومه من الأجره اللى بيلمها م السكان .

فقال مراد :

— الحمد لله لا عندنا بيت ولا دكان . مش ح تاخد مننا الحكومه حاجه .

وقال سامى :

— يا ريت كان عندنا وكانت خدت .

وقالت سوسن :

— مش الحكومه بتديلك فلوس كتير قوى يا بابا ؟

وتجعدت جبهته ، ولاحت فى وجهه مسحة من الحزن ، ورأى أن يئد ذلك الحديث الذى يخز روحه ويضنيه ، فقال :

— مش ح تطلعوا تتفرجوا ع الخروف لما يدبح ؟

ورن صوته غريبا فى أذنيه ، خيل إليه أن فيه نبرة أسى ساخرة تومئ إلى العلاقة بين ذبحه وذبح الخروف ، فوقف مشدوها برهة ، وقال سامى وهو ينهض :

— يللا ع السطح .

واندفع الأولاد يصيحون ، والكلب يجرى خلفهم ، والتفت عاطف وقال :

— وهاله مش ح تتفرج ع الخروف لما يدبح ؟

فقالت الأب ساخرا :

ـــ هاله لسه صغيره ، لما تكبر ح تدبحه .

واختفى الأولاد عن عينيه ، ولكن أصواتهم كانت ترن فى أذنيه عالية مدوية ، وضم هالة إلى صدره فى حنان وقال يناجيها :

ـــ لما تكبرى ح تدبحى بابا؟! ح تفلسيه كده ؟! لكن انت ذنبك إيه ، حد خد رأيك قبل ما تيجى ؟ إحنا اللى جبناكى غصب عنك .

وراح يمرر شفتيه على صفحة خدها ويغمغم :

ـــ إكبرى وفلسي بابا .

ولمح نبيلة قادمة ترتدى بيجاما ضيقة ، تفضح مفاتن جسمها ، فاربد وجهه ، ورفع شفتيه عن خد هالة ، وقال :

ـــ واقفه يا نبيلة قدام الرجاله الغرب بالشكل ده ؟

ونظرت إلى نفسها فى دهش وقالت :

ـــ فيه إيه يا بابا ؟ درعاتى متغطيه ورجليه متغطيه .

فقال وهو ينظر إلى صدرها البارز ، الذى يكاد يقفز من البيجاما :

ـــ لكن .. لكن .

ـــ لكن إيه بس يا بابا ! إذا لبسنا فستان بكم جابونيز قلتم دراعاتكو عريانه ، وإن لبسنا فستان قصير قلتو : عيب رجليكو عريانه ، وإن غطينا دراعتنا ورجلينا ما نعجبش.أمال نعمل إيه بس .

ورن جرس الباب الخارجى ، فدارت نبيلة على عقبيها ، وقال لها

أبوها :

ــ ما تفتحيش انتى . خشى جوه . أنا اللى ح افتح .

وانطلق إلى الباب وفتحه ، وإذا بثلاث سيدات من الأسرة وأولادهن ، وخادم تحمل بقجة كبيرة ، فيها ثياب منزلية كثيرة ، وحملت فى يدها مشجبا به فستان للسهرة ، كانت هيئتهم تدل على أنهم جاءوا ليستقروا ، وما أن لمحهم حتى قال مرحبا :

ــ أهلا وسهلا . اتفضلوا .

وارتفعت الأصوات من هنا وهناك :

ــ ألف مبروك. والله فرحنا قوى . أحلام دى بنتنا .

واندفعوا داخلين ، وما أن اجتازت الخادم الباب حتى أطلقت زغرودة مدوية ، جعلت الأم وأحلام تهرعان إلى الزدهة .

ودارت القبلات ، وترددت التمنيات ، وقالت النسوة وهن يضربن ظهر أحلام فى حنان :

ــ أهلا بعروستنا .

وانطلقوا إلى الغرف الداخلية ، وقال الأولاد :

ــ أمال فين سامى ومراد وعاطف ؟

وتلفتت الأم ، فلما لم تجد أولادها قالت بصوت عال :

ــ أمال الأولاد فين ؟

فقال الأب من بعيد :

ــ طلعوا السطح يتفرجوا ع الخروف لما يدبح .

ولم ينتظر الأولاد حتى تدعوهم الأم إلى اللحاق بأولادها ، بل انطلقوا مهرولين وهم يتصايحون .

ورن الجرس الخارجى ، فقالت الأم :

ـــ افتحوا الباب على طول ، هو الباب يتقفل النهارده !

وخف الأب إلى الباب وفتحه ، فإذا بسيدة وبناتها وأولادها وقد حمل الأولاد تحت إبطهم لفائف فيها ثيابهم المنزلية ، بينما حملت إحدى الفتيات فى يدها بقجة .

وابتسم ورحب بهم ، وأفسح لهم الطريق ، وأسرعت الأم لاستقبالهم وقادتهم إلى الغرف الداخلية ، ليبدلوا ثيابهم ، وليرتدوا ما حملوه فى اللفائف والبقجة .

وأخذت أم العروسة تغدو وتروح فى الشقة ، دون أن يكون لها هدف ، والتقت بزوجها بالقرب من الباب ، فقال لها :

ـــ مالهم مبدرين كده ؟!

فقالت الأم وهى تأخذ منه هالة :

ـــ العاده كده . يباتوا معاها ليلة الحنه .. آخر ليله لها فى بيت أبوها .

ـــ يباتوا معاها مش ييجوا م النجمه .

واتجه الأب إلى بئر السلم ونادى :

ـــ سامى .. سامى .. انزل .

ـــ حاضر .

وهبط سامى فى الدرج قفزا ، حتى بلغ أباه ، فقال :

ـــ نعم ؟

فقال الأب فى صوت خافت :

ـــ قول للطباخ يعمل حسابه إن تلاتين ع الأقل ح يتغدوا ويتعشوا النهارده .

فقال سامى وهو يبتسم :

ـــ هو عامل حسابه . قال لى إنه عارف العيله كويس .

ولاح فى عينى سامى كلام ، فقال له الأب يستدرجه للبوح له بما يحاول أن يكتمه :

ـــ وقال لك إيه كمان ؟

فقال سامى وهو يخفض عينيه :

ـــ وقال لى إنه يعرف العيله أكتر منك . كنت عايز تعمل حاجه ع الضيق ، وهو ما وافقكش . ما حبش يكشفك .

ـــ طب اجرى حصله فوق وبلاش لت معاه .

وعاد الأب إلى الشقه ، وجلس فى غرفة المكتب على كرسى من كراسى الفراش ، بحيث يرى ما يجرى فى الردهة ، ولمح زوجته فى غدو ورواح دون أن تفعل شيئا ، وسعت إليها الخادم الكبيرة ، التى جاءت مع الفوج الأول من الأسرة ، وقالت :

ـــ قال يا ستى مش ح تعجنوا الليله دى حنه ؟

فقالت الأم فى استنكار :

ـــ حنه ! الحاجات دى ما قدمت بقى .

فقالت الخادم فى استنكار :

ـــ هو يبقى فرح من غير حنه ! إذا كنتو مش ح تتحنوا نتحنا احنا .

ـــ والله ما عرف الحنه بتتباع فين !

ـــ عند العطارين .

ورنت إليها رنوة معبرة ، لم يفت الأم مدلولها ، فأخرجت ورقة مالية صغيرة دفعت بها إليها وهى تقول :

ـــ اشترى الحنه اللى عايزاها .

وارتفع صوت نسوى ينادى :

ـــ يا ست يا أم العروسه .

فقالت الأم :

ـــ حاضر . جايه .

وظل الأب يرقب ما يجرى فى الشقة ، وهو جالس فى مكانه .

وراحت ساعات النهار تمر وئيدة ، حتى إن حسينا ضاق بنفسه ، واستشعر مللا ممضا ، ومالت الشمس للغروب ، فاجتمعت الخادمات فى الردهة ، ورحن يغنين ، ويرقصن على نغمات طبلة ورق ، وخف الأولاد إليهم ينظرون .

ونظرت سوسن إلى الفتاة التى كانت ترقص شزرا ، وقالت فى ازدراء :

ـــ هو دا رقص ؟

وسمعت الفتاة سخرية سوسن فتوقفت وقالت :

— مش عاجبك رقصى ؟! تعالى فرجينا .

وقبلت سوسن التحدى ، وتوسطت الحلقة وراحت تـرقص ، وجعلت تهز كل عضلة فى جسمها ، حتى إن الفتاة راحت ترمقها فى غيظ ، وارتفع تصفيق الأولاد ، فخفت النسوة ينظرن مشدوهات ، ونظر الأب من بعيد ، ولأول مرة منذ الصباح رفت على شفتيه بسمة .

والتفتت سيدة إلى أحلام وقالت لها :

— لو كانت كبيره شويه كانت لهفت العريس منك .

فقالت أحلام وهى تبتسم :

— ما انا لحقت اتجوزت قبل ما تكبر .

ومر الوقت فى ضحك ورقص وغناء وأكل ، وجاء الليل ومشت الأم إلى حيث كان زوجها ، وراحا يتناجيان ، قال :

— فيه حد ما اتعشاش ؟

— كلهم كلوا .

— وح يناموا فين دول كلهم ؟

— ما تحملش همهم . دلوقت يناموا مطرح ما هم قاعدين . ليله وتنفض .

— عايزه الحق ؟ أنا تعبت خالص .

— كلها الليله دى وبكره . ونستريح بعدها على طول . استحمل شويه .

فقال مواسيا نفسه :

ـــ خلص الكتير ما بقى إلا القليل .

وارتفع صوت الخادم تنادى :

ـــ يا ست يا أم العروسه .

ـــ حاضر . جايه .

وانطلقت إليها ، فقالت الخادم :

ـــ ح نعجن الحنه فى إيه ؟

ـــ عندك قروانه صغيره فى الحمام اعجنيها فيها .

وجىء بالقروانه ، ووضعت فى الردهة ، وتحلق الخدم حـولها ، ووقف الأولاد ينظرون وراحت كل فتاة تلف حول كف زميلتها أشرطة فى تقاطع هندسى ساذج ، حتى إذا وضعت الحناء فى قبضة اليد ، بقى مكان الأشرطة دون خضاب ، فتبدو الكف منقوشة .

وتم لف الأشرطة ، وأغلقت الأكف على الحناء ، ثم ربطت القبضات بقطع من القماش الأبيض فبدت كرعوس الثوم الكبيرة !

ـــ ومشى الوسن إلى جفون الصغار ، فتمددوا فى أماكنهم حيث كانوا جالسين ، ولمحتهم أم العروسة فى دورانها الدائب فى الشقـة ، فقالت :

ـــ يا عينى ! النوم غلبهم .

ونادت على الخدم وقالت لهم :

ـــ تعالوا افرشوا المراتب ونيموا الأولاد .

وذهبت الفتيات خلفها حيث صفت الحشايا ، بعضها فوق بعض ،

وقبضاتهن ملفوفة بالقماش ، والتفتت إليهن وقالت :

ـ شيلوا .

وتقدمت إحداهن ، وحاولت أن تحمل حشية بين ذراعيها ، ولكنها أخفقت ، فقالت لها الأم :

ـ أنا عارفه كنتوا مستعجلين على الحنه ليه ! استنى لما أساعدك .

وتقدمت الأم ورفعت الحشية ووضعتها على عاتق الخادم ، وفعلت مثل ذلك مع الأخريات .

وأحس الأب التعب يمشي فى أوصاله ، فأخذ وسادة فى يده وانطلق إلى الغرفة التى كدس فيها الأثاث ، ووضع الوسادة على مسند كرسي طويل ، ثم تمدد لينام .

وتململ فى رقدته ، وأحس ألما فى رقبته ، فراح يتحسسها بيده ، ولم يحتمل ما يقاسيه من تعب فى نومه ، فانتصب واقفا وأخذ الوسادة ووضعها على الأرض ، ثم رقد على البساط . وحن جسمه إلى الراحة فراح فى سبات .

وانقضى الليل.. وجاء النهار ، وخيل إليه أنه يسمع رنين جرس الباب الخارجى ، كان ما يسمعه أشبه بما يستشعره المستغرق فى حلمه ، ولكنه فتح عينيه ، فإذا برنين الجرس يصك أذنيه .

ونهض لينطلق كعادته إلى المطبخ يأخذ وعاء اللبن ، فإذا به يحس ألما شديدا فى ظهره فتأوه ، وكاد يضطجع على المقعد الطويل ، ولكن رنين الجرس دفعه إلى السير .

وأشرف على الردهة ونظر ، فإذا بأرضها قد غطيت بـأجساد بشرية ، فاضطر أن يسير على أطراف أصابع قدميه ، وأن يقدر لرجْله قبل الخطو موضعها ، حتى لا يعلو جسم سيدة ، أو يدوس فى بطن غلام !

وبلغ المطبخ سلام ، وتناول الوعاء ، وعاد يشق طريقه فى مهارة وحرص بين الأجساد المتناثرة على الأرض ، المتشابكة من الأقدام ، حتى إذا بلغ الباب فتحه ، ومد يده بالوعاء ، فقال له الرجل :

ــ ربنا يتمم بخير يا بيه .

ــ متشكر .

وعاد يتلمس طريقه ، وإذا بالثياب قد انحسرت عن السيقان الممتلئة ، فنظر ، وانشغل بالنظر عن اكتشاف الطريق ، فكادت قدمه تتعثر ، وارتج اللبن فى الوعاء ، فانتبه ، وراح يتقدم فى حرص شديد .

ووقف يغلى اللبن ، وأخرج من النملية الزجاجة وراح يغسلها ، حتى إذا ما فار اللبن صبه فيها وأغلقها بالحلمة المطاط ، ثم اتجه إلى الصنبور وفتحه ، ووضع الزجاجة تحت الماء المتدفق .

وكان يمص الحلمة مصة بين لحظة وأخرى ليطمئن إلى مناسبة حرارة اللبن ، وخرج إلى الردهة ، وراح يجوس خلال النائمين وهو ينقب عن هالة ، ويده ممدودة بالزجاجة .

ولمح مراد نائما على الأرض وقد رفع رجليه وأسندهما إلى الحائط ، ورأى سوسن عارية البطن كعادتها ، فمد يده وأسدل ثيابها على بطنها ، وأخيرا عثر بزوجته وقد نامت على ذراعها وإلى جوارها هالة ، فوضع

الحلمة فى فم ابنته ، فإذا بها ترفع يديها وتقبض على الزجاجة ، فنظر مليا ثم انسل هاربا من المكان .

ودبت الحياة فى الشقة وارتفعت الأصوات وتداخلت وامتزجت فانقلبت إلى ضوضاء تحطم الأعصاب ، وأقبل سامى على أبيه وقال :

— ح اعمل لهم شاى فى إيه ؟

فقال له أبوه فى ضيق :

— ضرورى يشربوا شاى ! إياك نفطرهم احنا .

— فيه ناس طلبت شاى ؟

فغمغم الأب مندهشا :

— طلبت ؟! هى قهوه ؟!

ثم رفع صوته وقال :

— روح اعمل لهم شاى فى حلة .. فى طشت الغليه .

— وح اجيب لهم شاى وسكر منين ؟!

— خد من ماما .

وتحرك سامى لينصرف ، وإذا بأبيه يقول له :

— اسمع . قبل ما تعمل الشاى اطلع للطباخ قول له يحضر لهم الفطور .

— حاضر .

وانصرف سامى وبقى الأب وحده فى الغرفة ، فراح يعد على أصابعه وهو يحدث نفسه بصوت مسموع :

— غدا وعشا وفطور وغدا وعشا .

ولوى شفته السفلى فى ضيق ، وهز كتفيه فى استسلام . وقال وهو يدور على عقبيه .

— واحد مصارينه خرجت ، كل واحد قال حته لقطتى .

الفصل السابع عشر

راح الأب يدور فى الغرفات ، ويلقى نظرة أخيرة على المكان ، فعما قليل تغيب الشمس ويتقاطر المدعوون من كل حدب وصوب ، وأقبل سامى يرتدى بذلة أنيقة ، وكرفاتة غالية ، يتبه فى مشيته ، وأطل من الشباك ينظر ، فبدا عليه أنه ينتظر أمرا .

وجاء مراد غريبا لأول مرة ، فوجهه نظيف ، لا أثر للـحبر فى أصابعه ، يرتدى بنطلونا ، وقميصا من الحرير الهفهاف ، وحذاء أسود يتألق ، وكأنما استشعر التغير الذى طرأ عليه ، فقال بصوت خافت :

ـــ الطباخ بيقول عايز حمل خشب كان .

فقال الأب فى تبرم :

ـــ أنا تعبت خلاص . قل له يجيب اللى هو عايزه .

وأقبل عاطف يرتدى بنطلونا من القطيفة ، وقميصا تدلى فى أناقة فوق محيط البنطلون فأخفى جزءًا منه ، وراح سوزى يتقدمه وهو يبصبص بذيله ، ثم يتوقف حتى يلحق به ويتركه ، فيعود ليتقدمه ثم ينتظره .

وجاءت سوسن وقد قصت شعرها ، ووضعت الأحمر فى شفتيها وفى وجنتيها ، تخب فى ثوب منفوخ عند طرفه ، ضيق غاية الضيق عند خصرها .

وأسرع عاطف إلى أبيه وقال له :

ـــ مش أنا حلو ؟

فقال الأب دون أن ينظر إليه :

ـــ حلو خالص .

فدنا من أبيه حتى التصق به وقال :

ـــ طب هات قرش بقى .

فقال له الأب .

ـــ ح تعمل به إيه ؟ عندنا كل حاجه . اللى عندهم فرح ما ياخدوش فلوس .

وغمغم فى صوت خافت :

ـــ يدفعوا بس .

والتف أولاده حوله ، فقال لهم فى ذعر :

ـــ انتو ح تتكوموا فى حته واحده !؟ ما تتفرقوا .

وانتهز عاطف هذه الفرصة فقال :

ـــ مش ح امشى إلا لما آخذ القرش .

فقال الأب لمراد :

ـــ خد أخوك للطباخ يديه حتة هريسه .

ومد مراد يده وتناول يد عاطف ، فقالت سوسن :

ـــ وانا يا بابا ؟

ـــ وانتى روحى معاهم .

والتفت سامى وقال :

ـــ يبقى المعازيم مش ح يلاقوا حاجه ياكلوها .

وخرج مراد وعاطف وسوسن والكلب فى أثرهم وأقبل الفراش وقال :

ـــ عايزين نأجر كمان كام لمبه حمره .

فقال الأب فى ضيق :

ـــ كفايه اللى أجرناه .

فقال الفراش ليقنعه :

ـــ الزينه اللى عملناها على واجهة البيت نورها فسخان . بقى نصرف المصاريف دى كلها ، ونيجى ع الآخر نبوظ الطبخه على بقرش ملح !

ـــ خلاص مش ح اعمل حاجه زياده عن اللى اتعمل . كفايه بقى .

وسار الفراش إلى جواره وقال :

ـــ والميكرفون ؟

ـــ مالوش لزمه .

وهز الفراش كتفيه وانصرف ، وأطل سامى من الشباك وهتف فى فرح :

ـــ صحابى جم .

وخف الأب إلى الشباك ونظر ، فإذا بجمع كبير من تلاميذ المدارس مقبلين ، فقطب جبينه وقال :

ـــ مظاهره دى !

والتفت إلى سامى وقال فى استنكار :

ـــ إنت عزمت المدرسه كلها . ؟

و لم يرد سامى على استنكاره ، بل أسرع لاستقبال أصحابه .

وغادر الأب الشباك وهو مذهول ، وسار حتى غادر الغرفة ، فلمحته زوجته ، فأسرعت إليه وقالت له :

ـــ إنت لسه ما غيرتش هدومك ! الناس جت .

ـــ أنا تعبت خالص . ما بقاش فىّ روح .

ـــ خلص الكتير ما بقى الا القليل . كلها كام ساعه وننفض ، ونستريح على طول .

ـــ وهدومى فين ؟

ـــ فى الأوده اللى كومنا فيها العفش .

وارتفع صوت ينادى :

ـــ يا أم العروسه .. يا ست أم العروسه .

ـــ جايه . جايه حالا .

وذهب الأب يستبدل ثيابه ، وانطلقت أم العروسة تلبى رغبات المدعوات .

وتوافد الناس ، وازدحم المكان بالرجال والنساء والأطفال وجاءت فتيات صغيرات ، وإذا بنبيلة تسرع إليهن وترحب بهن وتبالغ فى الترحيب ، فقد كن زميلاتها فى المدرسة .

ونظرت الفتيات إلى ثوبها الأبيض فى إعجاب ، وقالت إحداهن :

— مش ناقصك إلا الطرحه البيضه وتبقى عروسه .

وقالت أخرى مستنكرة :

— بس ! لو كانت الحكايه كده كان كل شيء بقى سهل .. الرك مش ع الطرحه .

فقالت الأولى :

— أمال الرك على إيه ؟ .

فقالت الثانية وهى تضحك :

— الرك ع العريس .

وماج المكان بالناس حتى لم يعد هناك موضع لقدم : وخرج الأب بعد أن ارتدى ثيابه الأنيقة ، وراح يجوس خلال الجموع وهو مأخوذ ، وأخذت صديقات نبيلة يرقصن ويغنين ، فسرى المرح وساد الفرح بهجة وحبور .

وقال قائل :

— العريس .

فسرت همهمة ، واشرأبت الأعناق ، وصوبت العيون إلى الباب وتقدم جلال وأمه وأبوه وبعض فتيان وفتيات ، وكان شفيـق بين القادمين .

وطفق شفيق يتلفت ، حتى وقعت عيناه على نبيلة ، فشق طريقه إليها ، وصافحها فى شوق و لم يكتف بالسر الذى أخذت عيناه تبوحان به ، بل زم شفتيه وفطنت نبيلة إلى أنه يبعث إليها بقبلة ، فغضت من

بصرها ، وإن كانت ينابيع الغبطة تفجرت فى أعماقها .

وانطلق جلال وأبوه وأمه ومن كان فى رفقتهم إلى الكراسى المذهبة ، واحتلوها . والتقى حسين بزوجته ، فقال لها همسا :

ــ علب الملبس مش ح تكفى . مافيش إلا إننا نقدم الملبس على صوانى . يا دوب كل معزوم ياخد ملبسه .. أنا تعبت خالص .. إمتى المولد ده ينفض !

ــ بعد الكتاب ، يطلعوا البوفيه ، وكل واحد يروح لحاله ، وينفض المولد ده .

وسحب رجل الأب من ذراعه ، وهو يقول له : المأذون جه ، اتفضل .

وجلس الأب وجلال يتصافحان ، وأسدل على يديهما منديل من الحرير ، وجلس المأذون بينهما يلقنهما صيغة الرباط المقدس ، ووقف شفيق ينظر ونبيلة إلى جواره .

والتقت عينا شفيق بعينى نبيلة ، فإذا بالحب يتحدث ، وإذا بكل خلجة من خوالجهما تنم عن العاطفة الجياشة ، ومد شفيق يده وقبض على يد نبيلة ، وراح يضغطها فى رفق وحنان .

وأطلقت الزغاريد ، إيذانا بانتهاء العقد ، ودخل الفراشون يحملون أكواب الشراب الوردى على صوانى من الفضة ، وامتدت الأيدى واختفى الشراب فى الأجواف .

وقام جلال يصافح المدعوين ، وإذا بشفيق يجذبه من ذراعه ويقوده

إلى حيث كانت أحلام .

كانت أحلام فى ثياب العرس ، وقد أسدلت نقابا شفافا على وجهها ، فمد جلال يده ورفع النقاب ، ومال إليها وقبلها قبلة طويلة حارة ، وإذا بشفيق يلتفت إلى نبيلة ويهمس : عقبالنا .

والتقى حسين بزوجته ، فقالت له والدموع تترقرق فى عينيها :

ـ مبروك .

فقال لها :

ـ تعبان ، متهيأ لى انى ح اقع .

ـ خلاص . طالعين ع البوفيه ، وبعدها ح ينزلوا على طول .

ووضع جلال يده فى يد أحلام وسارا والزغاريد تدوى فى المكان .

وتدفق المدعوون إلى السطح ، حيث الطعام ، ولم يبق فى الشقة إلا الآثار ، وحسين منهار على مقعد من المقاعد الذهبية وزوجته إلى جواره تقول له :

ـ ياللا نطلع . الناس تقول إيه !

ـ مش قادر . تعبت خالص . عايز أنام .

ـ قوم .. قوم . كلها ساعة . وتنام بعدها زى ما انت عايز .

ـ اسبقينى . ح استريح دقيقتين وح حصلك .

وقامت أم العروسة ، وانطلقت إلى السطح ، وبقى الأب مضطجعا ، وحن جسمه إلى الراحة ، فأغمض عينيه ، ومس أذنيه حفيف ثوب ، ووقع أقدام ، ففتح عينيه ونظر ، فإذا بشفيق مقبل وفى

يده نبيلة .

ورفع رأسه وراح ينقل بصره بينهما وهو مكدود ، وتقدم شفيق خطوة ، وراح يجمع أطراف شجاعته ، ثم قال :

— أنا جاى يا عمى أطلب منك نبيله .

فقال الأب دون تفكير :

— روح الله يبارك لك فيها .

والتفت شفيق إلى نبيلة ، ومد يده وقبض على يدها ، ثم انصرفا مهرولين ، وقد اتسمت حركاتهما بالخفة والسرور .

وتمدد الأب فى المقعد الوثير ، وغفا قليلا ، ولكن سرعان ما استيقظ على دوى الزغاريد فهب من نومه ، وبدأ فكره يعمل ، فتذكر ما قاله شفيق : فصباح :

— شفيق .. نبيله . الله .. دا خطبها منى وأنا وافقت . إيه العمل دلوقت . ح اجهز تانى ؟! إزاى ؟ ومنين ؟!

وراح يهرول صوب باب الشقة وهو ينادى :

— يا زينب .. يا أم العروسه .. تعالى شوفى اللى جرى .. مش ح نستريح .. المولد ده مش ح ينفض .. مش ح ينفض أبدا .

وكان قد بلغ باب الشقة الخارجى ، فوقع بصره على أحلام وجلال وهما هابطان ، وشفيق ونبيلة خلفهما ، والرجال والنساء والأطفال يتدفقون خلفهما فى الدرج ، والزغاريد تجلجل والأصوات تتداخل فوقف ينظر وقد فغر فاه فى دهش ، ثم سقط مغشيا عليه .